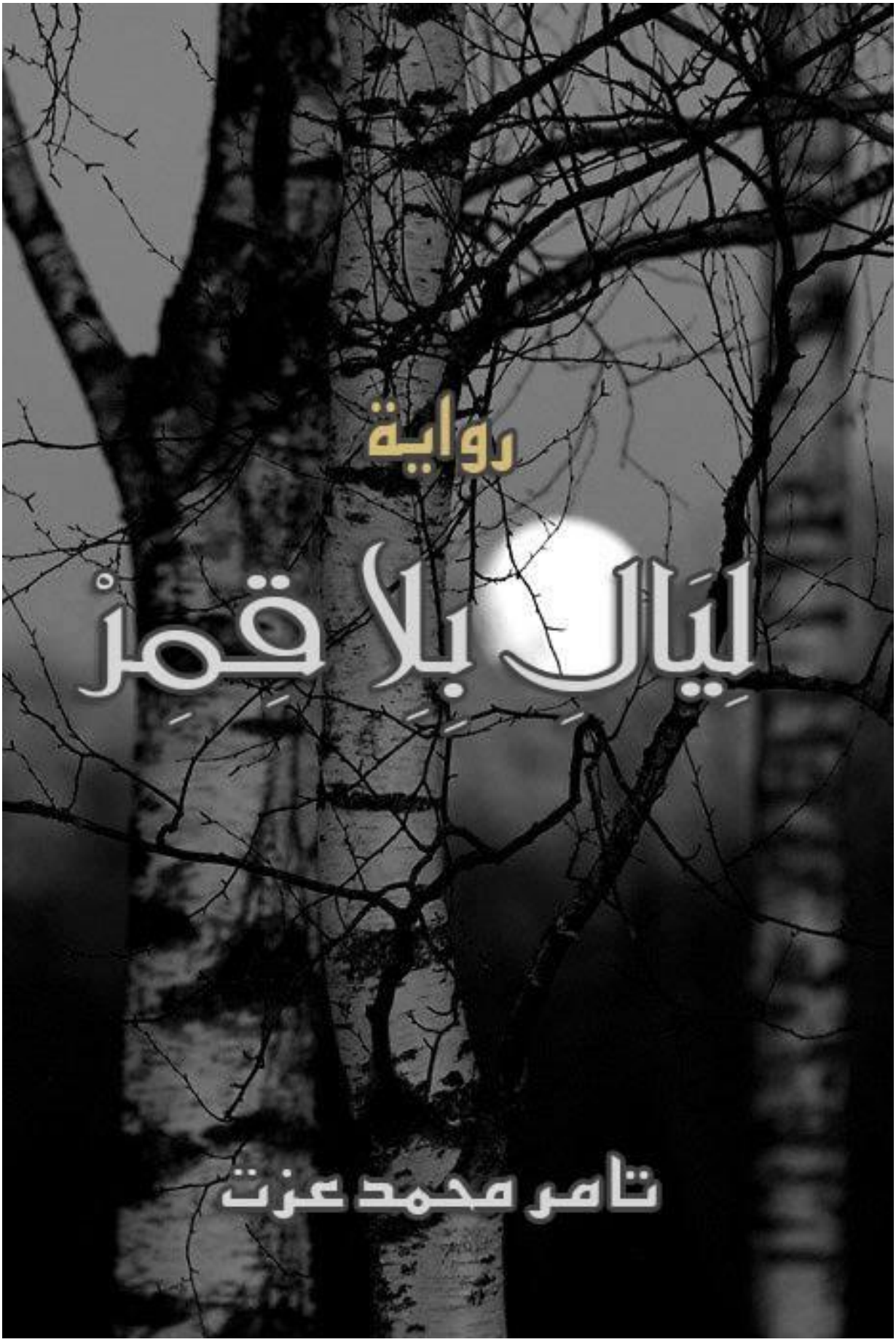
رواية
ليال بلا قمر
تامر محمد عزت

ليال بلا قمر

رواية

تامر محمد عزت

للمزيد من الكتب الحصرية ، زورونا على
موقع عصير الكتب
Www.Book-juice.com
وننتظر ارائكم عن رايكم فى الروايه
على جروب عصير الكتب
FB.Com/groups/Book.juice

الكتاب : ليال بلا قمر

المؤلف : تامر محمد عزت

تاريخ النشر : أغسطس ـ 2015

تصميم الغلاف : إبراهيم عيسي

محتوي الكتاب : رواية

دار النشر : عصير الكتب للنشر الإلكتروني

شكر خاص

عصير الكتب
للمزيد من الكتب الحصرية ، زورونا على
موقع عصير الكتب
Www.Book-juice.com
وننتظر ارائكم عن رايكم فى الروايه
على جروب عصير الكتب
FB.Com/groups/Book.juice

بطل هذه الرواية

هو سؤال

لماذا لا نتغير؟

" كنت أظن أن ليال المدينة مقمرة دائما

ونومها عذبا ...هادئا

ولكنني اكتشفت أن هناك

ليال بلا قمر

نهارها عيون وجلة ووجوه عابسة

ومساؤها صخب يدوي الآذان

مشحونة بالأرق والسلبية

والأحاديث يُحيط بها الكتمان و السرية "

-1-

أكتوبر 2007

كان سالم قد أنهي كتابة احدي خواطره قبل أن تأتيه تلك الاستغاثة والتي صدرت للمرة الثالثة –خلال هذا الأسبوع ـ من حنجرة مصطفي شقيق عبد العزيز (أخيه الأكبر) :

" أنجدنا يا د/ سالم ، نريد منك جهاز قياس الضغط وجهاز فحص السكر لإعادة القياس والفحص ل عبد العزيز "

وبالرغم من أن د/ سالم صيدلي وليس طبيباً بشرياً إلا أن واقع الصيدليات الحديثة النشأة أضافت مهمة جديدة غير مربحة مادياً للصيدلي وهي أن يكون " مُسعفا للطوارئ " حيث يضطر الصيدلي أن يذهب إلي المنازل للحالات الحرجة والتي تصعب أن تنتقل من مكانها إلي الصيدلية كحالة عبد العزيز ، بالإضافة إلي أنه لا مانع إطلاقا من إعادة تضميد الجروح الناتج من العمليات الجراحية .

أغلق الدفتر الذي سجل فيه خاطرته والتي أعطاها عنواناً ملائماً للموقف الذي ـ قدراً ـ يحدث له الآن " ستعتاد على الأمر " حيث كتب :

" قد يسألك أي إنسان عن أمر ما . . . فتكون الإجابة . . لقد تعودت على الأمر . . . !!

جُل البشر لا يريدون التغيير . . . فقد تعودواعلى أمور قائمه في حياتهم . . . . وأصحاب القوة والجراءة هم فقط منيملكون هذا القرار . . . أما الباقي . . فيريدون الحياة تسيرعلى وتيرة واحده . . أهمها الأمن والأمان والاطمئنان . . .

العقيدة . . . فتغيرها تحتاج إلي زلزال قوي يدمر العقيدة القديمة حتى يحل محلها عقيدة جديدة . . . . وهذا ما تعب فيه الأنبياء والرسل . . . . . أصحاب المصالح التي غزت حياتنا أيضا تعودوا على ذلك ، تعودوا أن يكون لهم القوة والسلطة . . . . والنفوذ . . . .

والأخطر في التعود علي أي أمر هو التخدير . . . .

فأنت مخدرا تماما . . لا تشعر بأي جديد . . . . ولا بمن حولك . . . ولا بما يدور في هذا الكون . . . . . لا شئ . . . غير السأم والضجر . . .

عزيزي . . . إذا أردت التغيير . . . . فعليك بالتدرج . . . فالتدرج سنة الحياة . . . . . .

التغيير المفاجئ والسريع . . . . عواقبه وخيمة في أغلب الأحوال لأن من حولك لا يحبون هذه السرعة . . . بالرغم من أنه عصر السرعة ! ! !

في أحد الأفلام الأجنبية . . . كان الزوج مشغول عن زوجته . . . فتحولت إلي سلعه . . تبيع جسدها لمن يشتري . . . .

وفي يوم وقفت أمامها سيارة فارهه بداخلها رجل كبير السن . . . فركبت بجواره . . . . وهي في قمة القرف والاشمئزاز فما لبث أن قرأ هذا التعبير علي وجهها . .

فأخبرها . . ستعتادين على ذلك . . . ، ! !

وهذا الفيلسوف ديوجين . . . اعتاد أن يعيش في الزبالة . . . . فهو يري أن الدنيا كذلك . . . وهناك من أعتاد على سفك الدماء . . . وأن اللون الأحمر إذا لم يُصبغ على الأرض . . . . قد لا ينام . . .

وأخيرا ، ، إذا صادفك أي تغيير مفاجئ ودون رغبتك . . . . فقط تذكر . . . . أنك ستعتاد على ذلك . . النفس البشرية مازالت لغزا محيرا في هذه الحياة

سالم "

طلب سالم من مصطفي أن يعود إلي منزله وأنه سيُحضّر الأجهزة المطلوبة وسيأتي خلفه مباشرة

سالم لا يُحب أن يُري وهو سائراً بجانب أحد عملاء الصيدلية في الشارع ، حتى لا يظن من حوله أنه سهل المنال ، وأن لابد من مساحات فاصلة بينه وبين الناس ، فقد تعوّد الناس على طريقة التحكم عن بُعد لقضاء حاجاتهم مثل الاتصال بعامل توصيل المطاعم والسوبر ماركت . . . الخ ، إنها عادة الجماهير .

أخفي سالم الأجهزة الطبية في كيس أسود وسار إلي منزل عبد العزيز ، عبد العزيز يقطن في الشارع الخلفي الموازي للشارع الذي به الصيدلية كانت دقائق معدودة تفصل بين الصيدلية والمنزل ، كان الطقس مائلاً للحرارة فشرد سالم قليلا وتذكر طقس المملكة العربية السعودية فقد عاد منها منذ عام ونصف ليفتح باب رزق في وطنه اسمه (الصيدلية) ، كان يظن أن مشروع الصيدلية ستدر عليه دخلا محترما ليعيش منه ا حياة كريمة بين أهله وأصدقاءه ، بدلا من الغر ق في بحر الغربة المتقلبة الأمواج ، وأن يتعب لنفسه خير من أن يتعب لغيره مقابل أجر شهري

لكنه اكتشف أنه كان مخطئاً ، وأن الحياة بمصر يلزمها الكثير من التنازلات وكان اكتشافا مذهلا ، أنه عندما تقدم للناس شيئا بلا ثمن فإنهم يزهدون فيه ولا يقدرونه حق قدره !

أفاق من شروده و نزل إلي أرض الواقع أمام بيت عبد العزيز ، فهي عمارة صغيرة مكونه من ثلاثة طوابق وكما علم من مصطفي

أن الطابق الأرضي يسكنه عبد العزيز وزوجته ، والطابق الأول العلوي يسكن به أخيه مصطفي وأخيرا الطابق الثاني والأخير يسكن به منير زوج أختهما الراحلة التي رحلت منذ أشهر قليلة

****

كان عبد العزيز راقدا بلا حراك علي سريره ـ بالرغم من أن هيئته تعكس ذلك فهو ذو قوة جسمانية وعصبية – ولكن المرض جعل وجهه شاحباً اللون أميل إلي الاصفرار ، عمره لم يتجاوز الخمسين ربيعا ، و أثناء قياس الضغط والسكر كان عبد العزيز ينتحب في سكون ، دمعته تفر من سجن محجرها في هدوء لعلها تريحه من آلامه الداخلية

سأله مصطفي عن حال عبد العزيز بعد قياس الضغط وفحص السكر ، تعوّد سالم ألا (يتورط) فالإفراط في الشفقة يفقده توازنه ويمنعه من أن يؤدي عمله بشكل صحيح . . . .

" هبوط حاد في ضغط الدم ومستوي السكر منخفض ، بسبب حالته النفسية السيئة " هكذا قال سالم لمصطفي الذي كان واقفا بجواره والوحيد بالغرفة ، لاحظ سالم كيسا من الأدوية بجوار سرير عبد العزيز لم تكن موجودة في المرات السابقة ، تناولها سالم بعصبية ونظر بداخلها سريعا ووجدها بعض الأدوية المهدئة وألقي الكيس بشيء من العصبية ، عكست له المرآة المثبتة علي الحائط صورة رجلٍ حانقاً ملئت عينيه وقلبه شئ من الغيرة ثم خرج من الغرفة

****

عاد سالم إلي صيدليته حانقا من هذه الزيارات المتكررة، وما إن رأته المساعدة التي تعمل معه سألته عن حال عبد العزيز

احتقن وجه سالم وزمجر قائلاً :

أنا أذهب إلي المنازل ولا أحصل على أجر مادي ، ورأيت الآن أصنافا من الأدوية قد صرفوها من صيدلية أخري ، لماذا هذه الازدواجية من معاملة الناس ، وهل أنا فتحت هذا المشروع لكي أكون مسعفاً للطوارئ ؟ لو أن طبيبا بشريا ذهب لفحص المريض في دقائق معدودة لحصل على أجر عال . . . . .

ثم زفر بضيق وحنق وأكمل : إنها البشرية التي تضع كل شئ في غير مكانه الصحيح ولا يهتمون بمشاعر الآخرين لأنهم لم يعودوا يفكرون إلا في مصلحتهم فقط "

****

<u>في نفس اليوم</u>

لم يكد يُنهي سالم مكالمته الهاتفية حتى تغيرت ملامح وجهه وقفز قلبه من مكانه وكأنه رأي شبحاً ، فالرجل الواقف أمامه حمل على وجهه المستطيل ابتسامه ماكرة ، كان طويلا ، نحيفا ، عيناه خضراوان غائرتان في محجرهما يشع منهما بريقا من المكر والدهاء ، ذو أنف طويل مدبب ، مرر أصابعه عبر شعره الأسود الذي خطه القليل من الشيب – لاشك أنه كان قد بلغ الستين ـ وواضح من هيئته الجسدية التي بلا

انحناء أن الزمن لم يؤثر عليه ، كانت هذه هي المرة الأولي التي يراها فيها سالم هذا الرجل الغامض بالنسبة له .

عندما تلاقت نظرة منير مع نظراته شعر سالم بالضيق وتسارعت أنفاسه على نحو غريب وتشوشت أفكاره لبرهة من الوقت لم تتجاوز الثواني

ألقي السلام على سالم وعرفه بنفسه وأخبره أنه منير زوج أخت مصطفي وعبد العزيز – رحمها الله – ثم أخرج ورقة مطوية من الجيب العلوي لجلبابه الأبيض فتحها سالم فوجدها وصفة طبية وبدأ في تحضير ما بداخلها ، وقبل أن يدون عليها طريقة الاستخدام أوقفه سالم وصاح بتلقائية :

لا تُدون أي شيء يا د . سالم ، أعتقد أنها أدوية لقرحة المعدة والقولون العصبي والغازات والانتفاخ أليس كذلك ؟

استاء سالم ومط شفتيه لأن معني ذلك أن الأدوية لن تخرج من الصيدلية وستعود من رحلتها القصيرة إلي مستقرها ومستودعها مرة أخري وعلى مضض قال :

نعم ، إنها كذلك . يبدو أن لديك مشاكل بالمعدة والقولون العصبي

عقد منير حاجبيه وقال : تبا . . لهؤلاء التجار الذي يدّعون أنهم أطباء ، إنهم يكتبون نفس الأدوية ولكن لشركات أخري مختلفة عن المألوف والمعروف لدينا ، عليهم اللعنة وعلى deal الذي يقومون به مندوبي الدعاية مع الأطباء وكل ذلك على حساب المرضي المساكين .

دُهش سالم من هذا التوضيح الصريح مما جعله يتساءل :

وكيف علمت بهذه المعلومة الخطيرة ؟

ابتسم منير وغمز بعينيه ثم قال : من الحياة

لم يرتاح سالم لهذه الإجابة فلم تكن تلك هي الإجابة المطلوبة ، همّ أن يعيد الأدوية إلي مكانها ولكن منير أوقفه للمرة الثانية واخبره أنه بحاجه إلي هذا العلاج

وبعد المداولة السريعة بينهما قال سالم : لقد كنت اليوم في زيارة الأستاذ عبد العزيز

بدون اهتمام لجملة سالم كانت أصابع منير تعبث بالأدوية ونطق بعبارة في باطنها الكثير من الغموض :

إن الأمر لم ينتهي بعد إذن . . أرجو أن يكفوا عن تحريك السكين في الجرح . . . . شكرا د/ سالم

حل صمتا ثقيلا في الصيدلية بعد خروج منير الذي ترك ابتسامة كاذبة ،لم يصدقها سالم ، وجلس الأخير على الكرسي ليتساءل : ما الأمر الذي لم ينتهي بعد ؟سكين ؟ جرح ؟ من هذا الرجل ؟ وما هذا الغموض ؟

لم يكترث وعاد سالم إلي شاشة الحاسب الآلي متابعا بعض المواقع الإلكترونية

******

لم يعد منير إلي بيته حتى لا يصطدم بأي فرد من أفراد العائلة ، فبعد وفاة زوجته أعد نفسه غريبا عنهم ، وخاصة أن العلاقة بينه وبين زوجته لم تطرح أي زهرة من زهور الحياة ، عاشا وحيدين حتى وفاتها من أشهر قليلة ، وبلغ من العمر ما يمنعه من الزواج بأخرى ، ولأنه بلا مأوي فأصبح بيته مثل الفندق للراحة فقط ، فهو لا يريد أن يترك هذا المنزل ليس للأسباب الغير المقنعة التي يقولها للآخرين ، فهو في قراره نفسه يعلم السبب الحقيقي لعدم مغادرته لهذا البيت

أشاح بيده أمام وجهه وكأنه يطرد أفكاره من أمامه ، وجلس على كرسيه المعتاد وطلب وجبة الغداء من المطعم المجاور للمقهى ، وأثناء تناوله للطعام شرد مرة أخري واستسلم لذكريات مؤلمه حدثت ، فقد ماتت زوجته إثر نوبة قلبية مفاجئة ، ومن بعدها خرج من وظيفته الحكومية بشكل قانوني وهو المعاش ، تنفس الصعداء بعد أن ترك وظيفته الروتينية المملة ، والتي خرج منها صفر اليدين ، أفاق من شروده بعد أن التهم وجبة الغداء ونظر بطرفة عينه إلي كيس الدواء الذي وُضع في الكرسي المجاور ، ثم تمتم بصوت غير مسموع :

لقد ظن أن د/ سالم أنني بحاجه لهذه الأدوية فهو لم ير أنها وصفة طبية بتاريخ قديم ، لأنه يريد أن يبيع لقد رأيت لهفة البيع في عينيه ، إنه في شوق إلي الدعم المالي

لمعت عينا منير وهو يخرج لفافة تبغ ويشعلها في انسجام ، وخرجت جملة صاحبت الدخان الصاعد من بين شفتيه " كل شئ بأوان "

****

" الازدحام

ليس البُعد عن الازدحام يمنحك الهدوء ، فقد يكون الازدحام بداخلك ، يصاحبك أثناء قيامك وقعودك ورقودك ، إنما المقصود من الابتعاد أن تفض هذا الاعتصام السلبي بثورة إيجابية لتعود هادئا في انتظار زحاماً جديداً، اضطرابنا الداخلي ناتجاً عن تراكمات لمثل هذا الصخب ، هيا افرغ حمولتك الثقيلة في أقرب سلة مهملات ، الشمس تسطع يوميا ولا يحجب أشعتها الذهبية ولا ضوئها المبهر إلا تراكم الغيوم أمامها ، لا تحترق ولا تحرق نفسك كثيراً ، لا فائدة من احتراق الشمعة فهي تذوب وتنتهي من طرف واحد

سالم "

أغمضت سهام عيناها بعد أن قرأت هذه الخاطرة وتنهدت ثم نظرت بعينيها العسليتين إلي سالم بحب وبصوت عذب قالت : " رائعة "

تأمل سالم وجه خطيبته سهام وقد امتلأت عينيها بالإعجاب الصادق ، سهام صيدلانية تعمل بإحدي مستشفيات الحكومة ، حديثة التخرج ، وإذا كان سالم طويل الطلعة باهي المحيا ، أنيق الملبس ، هادئ الفكر أحيانا ، فهو رأي الشخصية المكملة له . طويلة القامة ، رقيقة

الملامح ، بها حور في عينيها اليمني كانت سر جاذبيتها وجمالها ، ثورية الفكر ، متمردة أحيانا

إنه اللقاء الأسبوعي في منزل والدها ،حيث يزورها سالم لمدة ساعة أو ساعتين يوم الجمعة ، أثناء زيارته يخبرها بأهم الأحداث التي حدثت بالصيدلية ، علاقته بالناس ، يجعلها تقرأ خواطره

عقب سالم : شكرا

قالت مشجعه : استمر في كتابة خواطرك ولا تقف

تنهد في ألم ثم قال : إنني أحاول ، فالفراغ كبير

احتضنته بعينيها وقالت في حب : لا تقلق ، فالرزق مقسوم ، والمستقبل قادم ولا تنس أن الصيدلية مشروع طويل المدى ويحتاج إلي صبر وجهد وتعب و . .

قاطعها : وأموال . . . إنني أسير كالسلحفاة

قالت سهام بحماس واضح : التغيير قادم

استنكر كلامها : هذه الشعارات الثورية التي تعتقدين بها سوف يأتي اليوم وتضعيها في أرشيف الذكريات

-لِمَ ؟

-أنتِ مؤمنه بالتغيير في برجك العاجي ، ولم تنزلِ إلي الناس على أرض الواقع ، وهذه محاولات غير عملية في واقع غير علمي

-لابد من المحاولة . . . . . اليأس خيانة

ضحك سالم وقال : شعارات أخري

-أنا مؤمنة بها

-التغيير لابد أن يكون بالصدمات

-الصدمات قد تغير إلي الأسوأ

-وقد تغير إلي الأفضل

-إذن فهو سلاح ذو حدين ، وهذا السلاح لا يصلح لأي تغيير نريده بحد واحد

سكت سالم ولم يعقب . . . ثم تذكر عبد العزيز وقال :

لدي مريض أعاوده في بيته إنه يعيش حالة من الصدمة وعندما أعلم بحكايته سأخبرك

لم تبالي بما قال وسألته : وماذا تقرأ هذه الأيام ؟

أجاب سالم :

أقرأ البشر حتى أخرج من حالة الملل التي أسكن بها ، فإن كل يوم والناس في شأن مختلف ، إنهم سريعي التغيير فالأحداث التي يمرون بها تؤثر عليهم تأثير قصير المدى ، والعجيب أنهم يتحاورون ثم يختلفون حتى أنهم يكادوا يتقاتلون ، والأعجب أنهم يهدءون ويواصلوا حياتهم وكأن شيئا لم يكن . . أليسوا ممتعين ؟

إنهم أحجار علي رقعة الشطرنج . . يُنقلون من أماكنهم ويغيرون آراءهم يوميا بأصابع خفيه وهم في حالة من اليأس والاستسلام قطع حديثه رنين جواله والذي ظهر اسم الحاج مصطفي على الشاشة المضيئة

تأفف سالم وقال : حتى في وقت الراحة . . . تجهدوني

وبعد أن استمع للمتحدث من الجانب الآخر

أجاب سالم وقال للمتصل :

عفوا أستاذ مصطفي إنني في مشوار خاص ولن أعود قبل ساعتين من الآن . . . . مع السلامة

لاحظت سهام عصبية خفيفة من طريقة تحدث سالم

وسألت : ماذا بك ؟

أجاب بضيق وحنق : هل تعرفين المثل الشائع " الشيء الذي بالمجان أكثر منه " هذا ما أعانية من بعض . . . بل من معظم الناس ، يظنون أن الصيدلي الذي يتعاطف معهم ويتعامل بإحسان وصدق . . . أنه ليس إنسانا طبيعيا و أن عليه العمل بالصيدلية آناء الليل وأطراف النهار ، وأن يكون مرتديا ملابس الطوارئ وفي انتظارهم في أي وقت

لقد سئمت من هذا المجتمع ، المجتمع الذي تري فيه بوادر للتغيير ! سحقا!

سهام : اصبر . . إذا أردت أن يكون لك قاعدة شعبية فلابد أن تتحل بالصبر . . . وكما أخبرتك أنت في بداية الطريق

ثم رمقته بنظرة جادة وقالت : أنت أيضا تريد أن تتغير

نظر لها سالم وسكت ثم نهض واقفاً ليغادر المكان

سألته سهام بذعر وهي تتطلع إلى الساعة المثبتة على الحائط

إلي أين ؟

قال ساخرا: سأذهب لأتغير. . .

*****

ـ 2 ـ

ظن سالم أن ظهور منير إما استغاثة رابعة لعبد العزيز أو إعادة الأدوية التي صرفها من يومين ، فمظهره يُوحي بالبخل وأنه إنسان ليس سهلا كي تتعامل معه بسذاجة أو سلامة نية

خاب ظنه عندما علم بأن منير يريد أن يتحدث معه قليلا ، استجاب سالم بفتور واضح ، فهذه أيضا من سمات الصيدليات الحديثة ، وأن تقليل المساحات بين الصيدلي والعميل يُحول الصيدلية إلي " مقهى " أو " عيادة طبيب نفسي " حيث يحضر العميل ويظل يقص حكاياته وينقلها من الحكايات إلي الحكايات الخاصة ، ويخبر الصيدلي بأفكاره الاجتماعية والسياسية وكأن معه الأدوات الكافية لإصلاح الكون .

بعضهم يظن أن هذا النوع من الألفة هو نتاج مودة بين الصيدلي والعملاء ، ولكنه في الحقيقة نوع من أنواع النفاق الاجتماعي فتتلاشي الحدود بذوبان السياج ، ومستقبلاً يتعرض الصيدلي لأوبئة اجتماعية مثل الخصم علي الأدوية أو تأجيل دفع الحساب . . . أليسوا أصدقاء ؟

إن عدم وضع حدود بين العلاقات الاجتماعية بين الناس جعلتنا نعيش في حالة من الفوضى والعبثية

جلس منير وبكل جرأة طلب من المساعدة أن تعد له كوبا من الشاي ثم أردف وكأنه صديق حميم لسالم :

لقد عملت لسنوات في صيدلية كبري (صيدلية الشفاء) مع د. شوقي فقد كان صيدلانيا خبيرا ذو سعة من العلم والفهم ، فأنا كنت موظفا في المجلس المحلي ولم أرزق بأولاد فقد تزوجت متأخرا قليلا وكان لدي فراغ كبير

كان سالم يستمع وهو منزعج داخليا ويتساءل بينه وبين نفسه ما ذنبه في سماع السيرة الذاتية لمنير ؟ فكان لا يتجاوب معه حتى لا يدخل معه في حوارات فرعية ويزيد من مدة بقاءه . . . إلا أنه تذكر جملته الأخير في اللقاء السابق فدفعه الفضول ليعلم المزيد عن عبد العزيز ويدير دفة الحوار بدلا من هذا الملل

-وكيف حال الأستاذ عبد العزيز ؟

-لا أعلم لم أسأل عليه

-لماذا ؟

-لأنني أعلم حالته ، إنها حالة نفسية لما حدث لابنته منذ عدة أشهر فقد تزوجت بعد وفاة زوجتي ثم طُلقت بعد ثلاثة أشهر من الزواج ولأنها الابنة الوحيدة فكانت الصدمة قوية

بعد أن ارتشف رشفة من كوب الشاي أضاف قائلا :

والدها يعمل سائقا أجرة ولديه سيارة " بيجو " وهو رجل طيب القلب وهادئ الطباع ووالدتها . . . .

قطع كلامه لمعه في عينيه وقال :

ممرضه تعمل بالمستشفي الحكومي العام وسافرت منذ عام ونصف إلي السعودية وعادت لتحضر فرح زفاف ابنتها وانتظرنا سفرها مرة أخري ولكنها ألغت السفر تماما وبقيت

ثم شرد وقال :

لقد ألغيت السفر بعد فوات الأوان .

ارتبك منير وأحس انه قد يكثر في الكلام مما قد يوقعه في الخطأ وقدم الشكر لسالم على هذه الاستضافة وغادر علي أمل بلقاء آخر

مرة أخري حل صمتاً ثقيلاً في الصيدلية ، واحتار سالم في هذا الرجل العجيب ففي كل زيارة يُلقي بكلام غامض في عقل سالم ويهرب

وبعد ساعتين

ظهر مصطفي مرة أخري وقال :

نعتذر لك يا دكتور سالم على هذا النداء المتكرر

ابتسم سالم في شحوب وبحركة آلية قام من مكانه وبدأ في تحضير الأجهزة وكادت تتكسر أسنانه من شدة الغيظ ثم قال :

لا عليك . . . فقد تعودت

****

بعد عدة أيام دلف إلي الصيدلية رجل حليق اللحية له شارب خفيف ، أنف مدبب ، قصير القامة ، نحيف الجسد ، عرفه سالم

انه الشيخ سيد خطيب مسجد " أبو بكر الصديق " وعلم من المقربين أنه ليس أزهريا ولكنه اجتهد ودرس لمدة عامين في معهد

إعداد الدعاة وسُمح له بإلقاء خطب الجمعة وإلقاء الدروس في المساجد ، وهو أيضا جار عبد العزيز

بابتسامه هادئة قال : جزيتم خيرا يا د. سالم علي صنيع معروفك مع أخونا عبد العزيز ، فأخيه مصطفي يثني عليك ثناءً حسناً ويمدحوك ، بارك الله فيك وجعل عيادتك للمرضي في ميزان حسناتك

كانت وقع كلمات الشيخ سيد على قلب سالم برداً وسلاماً ، فإذا لم يكن هناك أي عائدا ماديا من تلك الزيارات ، فأضعف الإيمان هو الدعاء

سالم : لا شكر على واجب . . شفاه الله وعافاه

واصل الشيخ سيد حديثه : عبد العزيز طيب القلب وهادئ الطباع وحسن النية ولكن ابنته المدللة وطباع زوجته الحادة أغرقوه في الشقاء ، وقد سافرت زوجته وظن أن الحسد وعيون الناس لهم دور في أزمته ، ولكن هناك سر في هذا الأمر ، فالبيوت مليئة بالأسرار الخفية والمعلنة

في هذه الأثناء دخل مصطفي في عجالة ووجه ملئ بالقلق والتوتر ومعه وصفة طبية وصفها بالعاجلة ، فحالة عبد العزيز تدهورت بشكل مفاجئ ولم يستطيعوا أن ينقلوه إلي العيادة فطلبوا الطبيب هاتفياً الذي حضر وبعد الفحص الطبي طلب منهم إحضار هذا الأدوية علي وجه السرعة . . . كانت الوصفة عبارة عن أمبولة مهدأ ومحلول جلوكوز ملحي وجهاز محلول و كانولا 18 وسرنجة ولاصق طبي ، تم تحضير الوصفة سريعا ثم ذهب ثلاثتهم بخطوات سريعة إلي منزل عبد العزيز بالقطع انتبه من بالشارع وازداد الفضول عن ما الذي جري ؟ لا أحد يعلم إن هذا فضولا أم أنهم علي الاستعداد للمساعدة

****

أصبحت غرفة عبد العزيز كأنها غرفة في مستشفي ، سيدة اربعينيه تناولت الكيس من مصطفي وبمهارة وخبرة كبيرة قامت بمنتهي المرونة بغرز الكانولا في وريد عبد العزيز ، وأوصلته بجهاز المحلول المتدلي من المحلول ذاته

لمعت عينا سالم بإعجاب لهذا الصنيع ، وسأل الشيخ سيد عنها فأخبره بصوت خافت أنها (ميرفت) الممرضة وزوجة عبد العزيز

استدارت ميرفت ورآها سالم لأول مرة ، واقشعر بدنه لحدة عينيها الضيقتين ، وطول أنفها ، ووجها المربع أعطي لقسماته نوعا من الجدية والحزم ، بشرتها بيضاء مشربة بحمرة ، يعطي لك إيحاء أنها من سلالة الإنجليز ذو الدم البارد ، تأمل سالم كثيرا في وجهها المنحوت خشبيا وكأنه لم يعرف ثنايا الضحك ، أعادت ميرفت النظر لزوجها مرة أخري ولم يتضح عليها أي نوع من القلق أو الاضطراب ، وكأنها تتعامل معه بصفتها ممرضته وليست زوجته .

تطلع سالم لمن في الحجرة فلم يجد منير ، ولم يجد ابنتهما ، وخلال دقائق من الهدوء ، خرجوا جميعا سالم ومصطفي والشيخ سيد

دار حوار بين الشيخ سيد ومصطفي وكان لسالم نصيب أن يسمع لهما بعد أن خرجوا من البيت ووقفوا في الشارع

سيد : لابد أن تحاول أن تهدأ عبد العزيز يا حاج مصطفي ، لابد أن تعرف السر الذي يكتمه ، هذا السر مثل الحجر الثقيل الجاثم علي صدره

مصطفي : ماذا أفعل ؟ لقد أعطونا فرصة عظيمة لأن نبحر في بحار الخيالات والأوهام ومنحوا للناس فرص إطلاق سوء الظن والإشاعات ، إننا نحصد ما زرعوه من لامبالاة وإهمال وغفلة والتدين الزائف

مصطفي بأسي : لقد عانينا من هذا التدين الزائف ، ومن الأسرار ، ومن عدم المصارحة . . . غياب الوعي الديني مسئولية كبري . . . . .

ويبدو أن سالم لم يفهم شيئا من هذه الطلاسم ، فاستأذن منهما ، وأخذ حيرته معه محاولا أن يستجمع خيوط المشكلة ولكنه فشل

****

عاد سالم إلي صيدليته ليجد صديق عمره وجار عبد العزيز والشيخ سيد . . . عمرو ومهنته محامي ، وكان يمسك بورقة تركها مكانها فور رؤيته لسالم

عمرو : أين كنت أيها الصيدلي الأديب ؟

سالم بضيق : كنت في زيارة ميدانيه لجاركم العزيز

عمرو متسائلا : عبد العزيز ؟

ضحك سالم وقال : لقد ذاع صيته إذن ، اعتقد أنني سأسمع به في وسائل الإعلام قريبا وبرامج التوك شو ، وسأقرأ عنه في الصحف الإلكترونية

عمرو : ما كل هذا العبارات الساخرة ؟ ! أنت تعرف يا عزيزي أن مجتمعنا تفوق علي شهر زاد وحكايات ألف ليلة وليلة ، الحكاية ببساطه أن هند ابنته كانت عروسة منذ أشهر قليلة وبعدها تم الطلاق ، ولو أننا نعيش في عصور قديمه أو في فترة زمنيه سابقة لأصبحت حكاية غريبة وتنتقل من بيت لبيت آخر ، أما حاليا فهذا الأمر أصبح عاديا وظاهرة طبيعيه أن تتزوج فتاه ثم تُطلق بعد

شهور أو سنوات قريبة من زواجها ومع ذلك مازالت ما إن عادت هند إلي بيت والدها إلا وكانت تلاحقها الشائعات والقصص الوهمية البشرية الصُنع ، إنه الفراغ يا عزيزي

سالم : أتفق معك ولكنني وجدت والدها في حالة من الانهيار العصبي ، وهذا ليس من علامات الإيمان بالقضاء والقدر ، وملامح والدتها غلبت عليها الجمود كتمثال فولاذي ثم أسمع منذ قليل عن إهمال ولا مبالاة وتدين زائف ثم سر يدفنه عبد العزيز في أعماقه ومنير يشعر بأن هذا طبيعي . . . و . . .

قاطعه عمرو وقال : أقابلت منير ؟

ـ نعم

ـ احذر منه

ـ لماذا؟

ـ منير هذا داهية وتحوم حوله الشبهات الكثيرة وعلمت من احد أصدقائي من المباحث أنه تحت الرقابة ، إن هذا الرجل أخطر ما تتخيل وقبل أن تسألني لماذا؟ أجيبك لا اعلم بالتحديد

انتبه سالم لكلام عمرو الذي أكد له هواجس كانت تحوم حول عقله وقلبه ثم شرد وسأل : لكن . . . أين هند ؟ لم أرها ولا مرة واحدة ؟

قام عمرو من مكانه ومد يديه وكأنه يفتش في جيوب القميص والبنطلون وهو يسأل : أين هند ؟ أين هند ؟

ثم ضحك وقال : ليست معي هاهاهاها

ضحك سالم رغم ركام الغيوم التي تخيم علي القلب وتعمي البصيرة ولكنه لم يخرج من حالته الحائرة ، وخصوصا بعد ما علم الغموض الذي يحيط بمنير

غادر عمرو تاركا سالم الذي تمددت أصابعه ليلتقط الورقة التي بها خاطره جديدة من خواطره وقرأ بعينيه :

" نحن نعيش علي قنابل موقوتة اسمها متطلبات الحياة وأحطنا أنفسنا بكم من الطاقات السلبية وبقي أن تمتد أصابع هذه الطاقة إلي سحب فتيل تلك القنابل لتنفجر ، فنحن نفجرها يوميا في بعضنا البعض ، قتلنا مشاعرنا الإنسانية التي تسمو وتحلق في فضاء الحب والأمل ، لقد تحولنا

إلي بقايا ، بقايا إنسان ، وسنبقي هكذا حتى يدعونا التراب إلية مرة أخري ، ليذيب هذه البقايا "

سالم

ألقي الورقة أمامه بإهمال ، وتطلعت عينيه للأمام وشرد وفكر وسأل : أين هند ؟

****

ولمعرفة أين هند ؟

علينا أن نعود بالزمان عاما ونصف للوراء

فالحكاية بدأت في ليلة من ليال غير مقمرة

للمزيد من الكتب الحصرية ، زورونا على
موقع عصير الكتب
Www.Book-juice.com
وننتظر ارائكم عن رايكم فى الروايه
على جروب عصير الكتب
FB.Com/groups/Book.juice

-3-

مايو 2006

كانت غرفة ميرفت ـ والدة هند – وزوجة عبد العزيز في حالة من الفوضى العارمة كأنها كانت مسرحاً لمظاهرات بين فريقين متضادين وألقوا بكل أسلحتهم في الغرفة أو تسوماني قد أغرقها وخلفت وراءها الملابس مبعثرة على السرير والأرض ، حقيبة سفر كبيرة الحجم خاوية البطن جائعة من خلوها من الملابس ، الأحذية وفرشة الأسنان ومعجون الأسنان ومزيل العرق والملابس الداخلية مبعثرة بشكل عشوائي في كل مكان ، كان ذلك خطأ ميرفت التي اعتمدت على ابنتها هند في تحضير وإعداد حقيبة السفر وذلك لأنها ذهبت في مشوار خاص لشراء آخر أغراضها التي سوف تحتاجها في السفر لخارج البلاد

فماذا كانت هند فاعلة قبل هذا التوقيت ؟

هند فتاه مراهقة ، مدللة . زهرة برية ، تشبه أمها كثيرا في ملامح وجهها إلا أنها قمحية اللون ذات شفتين منفوختين ، و بالكاد تبلغ

السادسة عشر من العمر ، ومع ذلك كانت تجذب الكثير من النظرات الذكورية بصدرها المكتنز التي تدفعه إلي الأمام ، من الممكن أن تشعر بأنها فتاه لعوب تعطي لكل حركة من حركاتها نوعا من الشبق المثير ، فقد استغلت هند غياب والديها حتى وضعت أحدث الأغاني الشعبية في المسجل الخاص بها ، قامت هند بالرقص على ضجيجها المؤذي للأذن .

هند في المرحلة الثانوية التجارية في الصف الثالث ليس لديها ادني اهتمام بالتعليم ، كل ما تهتم به هو الحفاظ على ثورة شبابها أن يظل مشتعلاً ، ولم تدر أن هناك ثورة غضب قد اشتعلت في غرفة والدتها منذ قليل ، ذعرت هند وارتعدت فرائصها وارتبكت بشده من صراخ نداء صوت والدتها الذي كان أعلي من صوت الأغنية الهمجية التي انفعلت معها ، أغلقت المسجل سريعا وطارت إلي غرفة والدتها لتجد في انتظارها ملامح قاسية ونظرات حادة يتطاير منها شرر الغضب وصاحت :

أيتها المستهترة . . ألم أنبهك أن تقومي بإعداد حقيبتي ، السفر خلال ساعات قليلة ، وبدلا من أراك حزينة دامعة العين لفراقي ، أجدك ترقصين ، يا لك من إنسانة باردة العواطف ، لعينه الطباع !

أنحبس صوت هند خلف أسوار شفتاها وتحركت سريعا لإعادة تنظيم هذه الفوضى ، جلست ميرفت على كرسي خارج الغرفة لتفسح المجال لهند بأن ترتب الحقيبة وفي نفس الوقت تراقبها

شردت ميرفت فهذه هي المرة الأولي التي سوف تترك بيتها وزوجها وابنتها وتسافر للعمل في احدي المستشفيات الحكومية بالمملكة العربية السعودية ، فرصة ذهبية لن تعوض ولن تأتي كثيرا لمثل مهنتها وهي التمريض ولا لمثل عمرها ، صحيح أنها وزوجها ليسوا بحاجه إلي المال الوفير فهما لديهما ابنه وحيدة ولديهما بيتهما الخاص في منزل العائلة وجمعوا من حطام الدنيا ما يكفي لزواج ابنتهم ، ولكنها تريد الهرب من نظرات منير زوج أخت عبد العزيز ، تنهدت بعمق وتذكرت عندما كان يطاردها في المستشفي وتزوج أخت زوجها ثم نقلا للحياة بالدور الأخير في

العمارة التي يسكنون بها ، والحال تغير تماما . . . تنهدت بعمق وأغمضت عيناها ورجعت برأسها للوراء . . وتذكرت

****

أتي منير إلي المنزل وعادت أنوثة ميرفت إليها ، هكذا كانت تحدث نفسها دائما . . فهي لم تستطيع أن تخفي إعجابها بعينيه الخضراوين ، فقد شعرت منهما بالإعجاب الخفي التي أعاد لها أنوثتها بعد مرور سنوات طويلة من العمر وبالرغم أن لديها فتاه في سن المراهقة ، إلا أنها افتقدت أنوثتها وتجمدت ملامحها وأصبح مزاجها حادا ، زوجها رجل طيب وسائق أجره ولكنه لا يجيد فن التعامل مع زوجته لهذا كانت هند هي الثمرة الوحيدة من العلاقة التي بينهما ، وأتي منير . . أشبع رغبتها بنظراته ، كان الالتهام واضحا ، من داخلها كانت سعيدة وفي نفس الوقت اعتبرتها خيانة

صعدت ميرفت إلي السطح لتجمع الملابس النظيفة الجافة قبل أن يهبط الليل بغموضه ، وأثناء انهماكها بجمع الملابس ظهرت العيون الخضر أمامها في رغبة متوحشة ، وبحكم مهنتها فقد قرأت أنهما غير

طبيعيين ، إنهما مضطربان و بهما نوعا من الهلوسة ، ، اضطربت ميرفت وخافت

وسألت بحدة : ما الذي أتي بك إلي هنا ؟

منير كان بحالة غير طبيعيه بالفعل ، فقد امتدت يديه اليمني ليمسك بكل قوة ذراعها الأيسر وقال بشغف :

أحبك ، لم أعد أستطع أن أتحمل ، اشتاق إليك

وهم أن يضمها بين أحضانه إلا أنها استجمعت قواها وسحبت ذراعها بقوة وانفلتت منه وقلبها يسبقها إلي الهرب ، كادت أن تقع وهي تهرب منه فأعصابها كانت منهارة وخارت قواها ولم تتحملها قدماها فالمفاجأة كانت شديدة ، وأثناء قيامها حاول منير أن يحيطها بين ذراعيه من ظهرها إلا أنها دفعته بجسدها الثقيل إلي الخلف ثم استدارت و دفعته بكل خوف ورعب خرجتا من قبضتها في صدره الذي ترنح للوراء وسقط أرضا

لم تسمع منه ما قاله فكانت تفر هاربة من جحيم الخيانة وجهنم الإثم . . . صرخة بصوت مكتوم وهي تهبط إلي بيتها :

لماذا تريدين الهرب منّي ؟ أنتِ لا تفهمين حقيقة مشاعري ؟ لقد انتقلت إلي هنا لأجلك ؟ أحبك . . . زواجي من هذه البلهاء باطلا أنتِ واحتي الحلوة . . . . أنتِ . . . . .

كانت قد وصلت إلي غرفتها . . . . وبكت . . . .

وتمر الأيام والشهور . . . لابد من حل لهذا الغزو الخارجي ، كان السفر هو الحل أو بمعني أدق . . . الهرب . . . لأنها لا تستطيع أن تخبر الجميع بالذي حدث . . . سيكثر الكلام وستصبح حجتها ضعيفة وخاصة أن أخت زوجها كبرت في العمر وأن هذا هو الزوج المناسب لمن مثل حالتها . . .

السفر هو الحل . . أفهمت الجميع أنهم بحاجه إلي المال وخاصة أن هند علي وشك الزواج وتريد أن تجهّز ابنتها الوحيدة بأثمن الممتلكات

كانت تلك هي الحقيقة الزائفة

" لقد انتهيت "

أعادتها جملة هند إلي الواقع من جديد، وفتحت عيناها لتنظر ملياً إليها ، ناظرة إلي أنوثتها الثائرة ، هند مطمع لأي ذئب لا يرحم الشاه الضعيفة

كانت تنظر إليها وهي تحدث نفسها :

إنني أهرب بكِ أيضا يا هند ، أهرب بكِ من نفسك ومن . . سامح ابن عمك ، أعلم أنكِ تحبيه ولكنه أيها الساذجة لا يحبك ولن يفعل ، إنه يعيش في عالمه . . . لابد أن نهرب جميعا، سأسافر وسنشتري قطعة أرض أو شقة تمليك ، ليصبح لنا عالمنا الخاص بنا ، بعيدا عن جهنم منير وجنة سامح الذي ليس لكي فيه مكان .

سافرت ميرفت ولم تتعلم من فلسفة الجملة الشهيرة " الوقاية خير من العلاج " ، لم تكن تعلم أن هند في حالة حرجه من العمر وأنها بحاجة إلي الأمان والاحتواء و الحضن ، ولم تكن بحاجة إلي بيت أو مال

رغم أن ميرفت ممرضه وقديما كانت تحصن الأطفال من الأمراض بجرعات التطعيم إلا أنها لم تستوعب هذا الأمر عمليا ، فهي تريد التغيير ولكن بطريقتها

******

لم يتعذب عبد العزيز زوج ميرفت مثلما تعذب العاشق منير فقد تغير للأسوأ وأصبح شديد الكراهية لزوجته التي لم تقترف أي ذنب ، فقد تزوجها منذ عشر سنوات فقط ، فقد كان عازفا عن الزواج لسنوات طويلة ، وعندما رأي ميرفت في المستشفي عاوده ذكريات أليمه عتيقة ، فقد كانت تشبه زوجته الأولي وحبيبته الأولي والأخيرة (منال) ولم يستطع أن ينساها . . . وكيف ينسي نفسه ؟ وقدرا رأي من تشبها ، وعلم بعد عدة تحريات واستطلاعات أنها متزوجة ولديها بنت وحيده، فكر في الاقتراب منها ، لكن لم يفلح ، وبعد أن جمع المعلومات عنها ، علم أن أخت زوجها " عانس " وفاتها ربيع العمر وقطار الزواج ، فكانت طريقة غير مباشرة للاقتراب من ميرفت ، تزوجها وافتعل المشاكل في البيت الذي كان مستأجره ، حتى يضغط على زوجته وينتقلوا للحياة إلي الدور الثالث في بيت العائلة تحت رضا عبد العزيز وعدم راحة من مصطفي ، ولكن لأن أختهما وحيدة وكبيرة في العمر وحتى لا يكسروا

بخاطرها وافق مصطفي على الحياة معهم ، ونجحت الخطة الشيطانية

لم تقف هذه الخطط عند هذا الحد فقد تتبع خطوات الشيطان في معرفة الأدوية الممنوعة والمخدرة ، فهو بدأ يتعاطي أشربة السعال وبعض الأدوية المخدرة لكي يهرب من حياته الرتيبة والمملة ، وأيضا من حياته مع زوجته التي كانت يصفها بالبلهاء دائما مع إنها مسكينة وأسيرة مجتمع لا يرحم ، ثم انتقل تدريجيا إلي الأقراص المهدئة حتى وصل به الحال لأقراص الهلوسة ، كان يتناول عدد منها لينتقل إلي العالم الذي يريده ويحدده ، وهذا ما أكده له شياطين الإنس وخرج منير من جنته بعدما اقترب من هذا الأدوية المحرمة

كان لدي منير غرفة سرية ، جدرانها مطلي باللون الأحمر الداكن وبها سرير ودولاب وخزانة ملابس وأوراق وصور محتفظ بها في خزنه حديديه ذات أرقام سرية ، كان يغلق علي نفسه عندما يتناول هذه الأقراص ، إنه ينتقل لعالم آخر ، زاغ بصره ، وعرق جبينه ، ودارت الأرض من حوله وفقد اتزانه وتحولت الإضاءة إلي ألوان وردية . . أحس بالاختناق قام ففتح نافذة الغرفة وأثاره الرياح

الصيفية لم يدر بنفسه وهو يفتح باب الغرفة ليجدها أمامه فابتسم ابتسامه واسعة . . . عادت ميرفت . . . لم يصدق عينيه ، أنثي مثيرة في قميص نوم أحمر حريري الذي أشعل غريزته وانفجر الهرمون الذكري وعاد شباب في كامل عنفوانه وفحولته ، أخذها بين أحضانه وهي مستسلمة ، وأصبح كالسكين الساخن وهو يقطع قطعة الزبد إلي نصفين ، بلغ من ذروة النشوة معها وهدأت ثورته بعد أن تسربت منه ماء الحياة ونام في سبات عميق وأفاق ليجد نفسه مازال حبيسا في غرفته ، وحمد الله أن زوجته لم تكن موجودة في تلك الليلة

****

هند لم تكن في حالة حزن على فراق والدتها فهي لها عالمها الخاص ، إنها تعيش في عالم سامح حبيبها ، وهي متأكدة بعد أن يفرغ من كليته ويتخرج سوف يتزوجها مباشرة ، فهو طالب بالفرقة الثالثة لكلية الهندسة ، وقد هيأ لها خيالها أن العام القادم هو عام الحسم عام زواجها من سامح ، ستطير مع حبيبها في فضاء الحب وبعدما طرأت عليها هذا الأفكار ، قامت . . . لترقص

لمحت بطرف عينيها الساعة المعلقة على الحائط ، إنه وقت عودته من الكلية وبخصلة من خصال المراهقات ، تجسست هند من خلف شباك النافذة لتراه ، أغلقت النافذة وطارت ووقفت خلف باب الشقة لتسمع صوت أقدامه على السلم ، وكل خطوة منه كان يدق قلب هند ، فتحت باب الشقة وخرجت لتصعد إلي اعلي ، رآها سامح وعقد حاجبيه وسأل : إلي أين ؟

ارتبكت وتوردت وجنتاها وقالت : إلي السطح

-لماذا ؟

كادت عيناها تقول له "لكي أراك يا حبيبي " ولكنها تلعثمت ولم يفهم منها شيئا

لكنه بادر بالحديث قائلا : ما هذا العبث ؟ السطح مكشوف وملابسك لا تصلح أن تصعدي بها لأعلي ، هيا . . . إلي بيتك

بالرغم من سعادتها إلا أنها اصطنعت الغضب وقالت :

السطح غير مكشوف وان البيت هو أطول بيت في المنطقة وملابسي ليست فاضحه . . . سلام

نزلت سريعا وهي تنتحب

ارتبك سامح ودخل غرفته . . . يفكر

****

دلف سامح إلي غرفته حائرا لما فعله مع هند مذ قليل فهو لا يدخر أي مشاعر تجاهها ، إنهما غريبان عن بعضهما يفصل بينهما صحاري واسعة من فارق الاهتمامات والآمال والأهداف ، انه يعلم طبيعة هند جيدا ، إنها فتاه عبثية وساذجة وهوائية وسطحية التفكير ، ولولا أن بها مسحة من الجمال وأنوثة ثائرة لما تدللت هذا الدلال فهي مريضة بخيالها الذي أوهمها انه يحبها !

ولكنه لا يعلم كيف وصل إليها هذه المشاعر ؟

كما أن تعليمها ليس على مستوي عال مثله ، فهي ستحصل على دبلوم ثانوي تجاري ، أما هو مهندسا طموحا وطموحه يكمن في تغيير مستواه الاجتماعي والعائلي ، ويتمني السفر إلي ألمانيا ولا يعود أبدا وأن حصل على عدة دورات لغوية وتعلم اللغة الألمانية ، كما أنه خطط أن يستكمل دراسته هناك حتى يحصل على درجة الدكتوراه ثم إن فتاة أحلامه ألمانية

الجنسية فهو على علاقة بها منذ فترة ، بعد أن رآها في زيارة لمصر فهي صديقة لأخت صديق له وتم التعارف من خلال المقابلات السريعة وبعدما عرفت بطموحه ، شجعته على السفر لألمانيا واتفقا علي الزواج وبالقطع سينال الجنسية الألمانية

إن والده يفهمه جيدا وذات يوم قال له :

إنني أعلم أنك تريد أن تتغير للأفضل ولكن احذر أن تنسي أهلك وأصلك مهما كان . . .

سامح لم يكترث كثيرا بما يسمي (الوطنية) فهو مؤمن بأن وطنه هو عقله وأرضه هو علمه . . . وحياته هي طموحه وهذا ما قرأه الداهية منير . . . . .

منذ أيام قليلة وجده سائرا أمام المقهى الذي اعتاد أن يرتادها منير ونادي عليه وطلب منه أن يشاركه في تناول القهوة معه ودار بينهما هذا الحوار

منير : كيف حالك أيها المهندس العبقري ؟

-بأتم حال يا عمي

-حافظ على طموحك وبعد التخرج اسع بكل قوتك أن تسافر إلي الخارج ، مستقبلك هناك ولا تفكر بالعودة ، إنها بلاد طاردة للعلم وللعلماء ، اذهب إلي أي دولة تقدر ما بك من مواهب ثمينة ، هنا استنزاف لعقول وطاقات الشباب ، الشاب يبحث عن العمل بعد التخرج ويا ليته يجد عملا مناسبا ليدر عليه دخلاً مادياً محترماً ليعيش حياة كريمة إلا أنه يضطر لأن يعمل أي شئ حتى يقتات قوت يومه ثم يبحث عن الزوجة المناسبة ثم يكمل أضلاع المثلث بالبحث عن شقة مناسبة ، ثم يصاب بالاكتئاب والقلق النفسي ويبدأ يبحث عن أوهام وسراب ، وبعضهم يهرب بالمخدرات للبحث عن ذاته ، إن الشباب في حالة نزيف حاد من الانتماء للوطن ، ويهربون حاملين طموحهم كأنها أوزار وآثام ، ليعيشوا رحلة كفاح أخري بعد الإصابة بالخلل في الاتزان الروحي

-غريب أمرك يا عمي إنني أسمع هذا الكلام مرارا وتكرارا وكأن لا أمل في التغيير للأفضل

-أي تغيير !! وهل هذا المجتمع قابل للتغيير إلا للأسوأ ! لا تفكر في الأمر . . . فكر في نفسك فقط

أفاق سامح من شروده ولاح له شبح هند الماثل أمامه وراء قضبان خيالها وقال :

عذرا هند . . لستِ ضمن خططي ولا أولوياتي ولا أهدافي ولن تكوني

لو اعتصمت بالخوف من المجهول لبقيت واقفا في مكاني طوال حياتي دون تغيير حتى تجيف جثتي وأموت

******

سبتمبر 2006

أفاق منير على عويل زوجته فقد علمت بما يخفيه في أعماق قلبه ، وأن هذا الاغتصاب الذي حدث لها ليلة أمس كانت عمل مشين لكرامتها كأنثى وكزوجة . . فقد تناول منير جرعه من الأقراص المخدرة وأصيب بالهلوسة ولكن هذه المرة لم يكن خيالا يداعبه بل ظن زوجته أنها ميرفت وفعل فعلته

لقد أدركت المسكينة أنه يحب ميرفت . . زوجة أخيه . . إنه خائن في أفكاره وخياله لقد هُتك ستره وهُتكت كبريائها وكرامتها

كان انسياب عبراتها الغزيرة تحرقه داخليا وخارجيا ونظراتها النارية كانت تزيده من الاحتراق بين ثنايا جلده ، كان لابد أن يهرب من نفسه ومن زوجته ومن العالم

أدرك أنه لم يعد إنسانا

فقد خان زوجته وخان عبد العزيز وخان مصطفي

وتحول إلي شيطان . . . له مريديه

فقد أشرقت شمسه من مغربها لم يعد وهناك وقت للتوبة

ولن تقبل منه زوجته التوبة

وقام إلي غرفته السرية المخضبة بالدماء والتي أصبحت مطبخا لشيطانه ومستودع أسراره ، ومركزا لخططه

لقد تحول منير إلي كائن مسلوب المشاعر والإرادة والأحاسيس

لقد كره ذاته . .

وأصبحت لياليه بلا قمر

ليال مظلمة

وفي هذا الظلام الدامس

خرجت إشعاعات خبيثة من عينيه

لقد أقسم على أن لن يعود

لقد أشعل الشموع لتحرك لهبه المرتجف فيرسم على الحيطان ظلالاً تبدو كالأشباح الخرافية . . . . وجلس منير وابتسم في دهاء ومكر

وأحضر لوحة ورقية كبيرة

وكتب عليها أسماء كثيرة بترتيب عشوائي

وأخرج من تحت كل اسم خطوط متعرجة

وعند طرف كل خط . . . . خطط مرقمة

أخذ قرص بروزاك من كيس الأدوية التي بحوزته وابتلعه مع جرعة ماء ، فهو يتناولها بين الحين والآخر حينما يشعر أنه لم يعد على الانسجام مع أي شئ

ثم أشعل لفافة تبغ وأخذ يستنشق رائحة النيكوتين المترسبة علي أصابعه في نشوة ولذة غريبة . . . . . وبدأ يفكر في عمق في هذه الأسماء

_4_

10يوليو 2007

تسقط أوراق نتيجة الحائط لتمر الأيام دون أن نشعر وقد مر عام على سفر ميرفت وطائرة العودة في طريقها للهبوط على أرض الوطن ، حصلت هند على دبلوم فني تجاري وآثرت عدم استكمال تعلميها فليس لديها أي طموح تعليمي ، وتخرّج سامح من كلية الهندسة ، وأمست العلاقة بين منير وزوجته كالجبل الجليدي الذي لا يذوب .

جلس سامح قبل وقت الغروب كعادته على سطح المنزل ، يفكر في مستقبله القادم ، وهاهو يتنفس الصعداء بعد أن انتهى من كليته ، الجو الصيفي له أثر محبب إلي نفسه مما جعله يغمض عينيه في سكون وأطلق كل طموحاته خارج البلاد ، إنه يري في نفسه أنه لؤلؤة ثمينة لم تُكتشف بعد ولم يتم إخراجها من المحارة القابعة في قاع المحيط

اعتدل في جلسته بعد أن سمع طرقات صاعده إلي السطح ، ظن أن تكون زوجة عمه أو والدته . . . كانت هند هي المجهول القادم

تعمدت هند أن تكون في كامل لياقتها الأنثوية ، كانت نظرات عينيها تشع نهم تجاه سامح الذي أشاح بوجهه الناحية الأخرى رافضا لقاء العيون ، وفكر سريعا في تلك الليلة الغير مقمرة أن تكون فاصلاً بين مشاعره الحقيقية تجاهها ومشاعرها الحقيقية تجاهه

بابتسامة حلوة مشرقة على وجه هند قالت بدلال :

مبارك التفوق أيها العبقري

حاول أن يمنع نفسه من النظر إليها ولكنها وقفت أمامه فارتبك من أنوثتها ، ومن عينيها التي كادت تلتهمه باسم الحب أو شهوة الحب

سامح : مبارك عليكِ ولو أن التهنئة جاءت متأخرة

ابتسمت هند وقالت : لا عليك ، أنت المهم أنا لست مهتمة بالتعليم

سامح : أليس لديك أي طموح يا هند ؟

خجلت وتوردت وجنتاها وقالت : الزواج هو طموحي

أدرك سامح سطحيتها وسذاجتها فقال في لا مبالاة :

ولكن الزواج ليس طموحا يا هند ، إنها سُنة الحياة ، محطة نقف عندها لنحصل على من يشاركنا ويصاحبنا باقي الرحلة .

لم تفهم ما قاله وتساءلت : ماذا تعني ؟

قال سامح بكل جديه : أعني أنني مثلا طموحي هو السفر إلي الخارج وإكمال دراستي والحصول على درجة الدكتوراه في مجالي ،طموحي أن أكون نجما لامعا في عالم الابتكارات .

لاحظت هند أنها ليست ضمن طموحاته ولا أحلامه، مما شحب وجهها بشكل مفاجئ كأنها خارجة من ثلاجة الأموات ، ارتعشت شفتاها وأزاحت الدلال والرقة جانبا وكادت تقول :

وأنا ؟ أين أنا ؟

لكنه استطرد كلامه وأكمل : وسوف أعود من هجرتي الطويلة سأجدك أُماً رائعة وتُرزقي بأطفال في مثل شقاوتك .

كان الليل قد حلّ وخيّم على المكان وأضاف الصمت والسكون بينهما شئ من الرهبة ، ليلة بلا قمر ، انطفأ الضياء الذي كان

ينبعث من وجهها فأصبح المكان أكثر ظلاماً ، غادر سامح بعد أن أدرك أن رسالته قد وصلت وتم تسليمها بنجاح

تركها غارقة في بحر الأوهام، تائهة في سراب الصحراء ، لقد ألبسها الليل لباساً كالح السواد، لقد توقف الزمن في هذه الليلة .

شعرت بالبرودة رغم اعتدال الجو ، وضعت كفيها على ذراعيها ولملمت ساقيها أمام صدرها ودفنت رأسها في الفراغ الذي بين تشابك ذراعيها وصدرها ، وكأنها تتحول إلي جنين يريد العودة إلي رحم أمه . . لم تبك . . . لقد تبلدت بشكل مفاجئ ، أدركت أنها عاشت لسنوات بعيده في وهم . . وهم اسمه الحب من طرف واحد ، التي كانت يوما تستنكره . . لقد وقعت فريسة هذا الوهم

سمعت عدة طرقات صاعدة إلي السطح ، هيأ إليها خيالها المريض أن سامح قد عاد ليعتذر . . لم تر شيئا . . من القادم ؟ لقد تحجرت الدموع في عينيها ، وفجأة سكتت الطرقات . . . أهذه كانت أصوات أقدامه أم . . صدى أوهامها ؟

لقد صعدت طاووسا جميلا زاهيا مبهجا ، وهبطت غراباً أسوداً له صوت كئيب .

15يوليو 2007

عاد منير إلي غرفته السرية بعد دفن زوجته فقد ماتت إثر أزمة قلبية مفاجئة . . . الموت المفاجئ . . . ومن يري منير في هذه اللحظات يوصفه كأنه عائدا من الموت وأنه حديث التخرج من المقابر ، الوجه شاحب والعينان غائرتان ، والجسد في نحول متزايد ، قد يظن أن هذا أثر الحزن علي زوجته . . كلا . . إنه أصيب بلوثة عقلية . . فهو قد أصبح مدمنا لكل أنواع الحبوب المخدرة بل وأصبح يتاجر فيها ، لديه كميات لا بأس بها من الأقراص النفسية والعصبية يبيعها إثر مبلغا من المال أعلي من قيمتها لشياطين الإنس . . وما أكثرهم ، ومصادره هم معدومي الضمير من بعض مساعدي الصيادلة وبعض الصيادلة الجشعين ، حيث يمدونه بكميات معقولة من حصتهم الشهرية

وأصبح عملائه من الشباب الضائع البائس التي ماتت أحلامهم وطموحهم ودفنوها في مقابر الأوهام وأمسي عزاؤهم في النعي اليومي بهذه المخدرات

17يوليو 2007

عادت ميرفت إلي وطنها ولكن وجدت تغييرات كثيرة قد فات أن تحضرها ، توفيت أخت زوجها الوحيدة ، هند ارتدت النقاب ، وأخبرت والديها بعزمها المؤكد أنها ستكمل دراستها في العام المقبل ، وأن هذا الصيف سوف تلتحق بمعهد ديني لإعداد الدعاة . . . كان التغيير مفاجئ وصادم للجميع

عادت الشكوك تزور فكر ميرفت فهي لم تقتنع كثيرا بهذا التغيير من هند "الماضي" الفتاه المدللة إلي هند " الحاضر" فتاه ملتزمة ومرتدية النقاب وترتاد المساجد !

إن الانقلاب المفاجئ لابد من وراءه سر خطير لا يعلمه أحد إلا الله

وكانت في كامن أعماقها تعلم أن هذا التدين هو غطاء كثيف لإخفاء حقيقة ما . . يبدو أن هند ورثت جينات الهروب بدلا من مواجهة الحقيقة

الوحيد الذي كان على قناعة بهذا التغيير هو (وائل) ، ذلك الشاب الذي يعمل في سنترال المنطقة ، عمل لا فائدة منه ، وخصوصا بعد

انتشار الجوالات بين الناس ، لم يكن هذا المحل إلا مجرد نشاط تجاري خالي من النشاط العملي !

وائل حاصل على دبلوم فني تجاري ووالده يعمل سائقاً لناقلات الشحن الكبرى ، ولأن وائل هو وحيد والديه رفض العمل معه في هذا المجال علي غرار "لن أعيش في قميص أبي " فأراد أن يثبت ذاته من تحت الصفر وكانت تلك هي البداية التي يراها والده أنها بداية عقيمة

وائل تطلع إلي مظهر هند الخارجي ، وأعجب بها جدا ورأي أنها مناسبة له وأبلغ والده برغبته في الزواج منها

والده رحب بالفكرة رغم اعتراضه على شخصيته وشخصيتها ، إلا أنه وجدها فرصه ليصبح ولده الوحيد مسئولا ، وقد يكون هذا الزواج سبباً في تغييره للأفضل فهو سلبي بلا شخصية وليس لديه أدني طموح لتحسين مستواه الاجتماعي لهذا قام بتوفير شقة الزواج بكامل محتوياتها لأنه بهذه الطريقة لن يفعل لنفسه شيئا ، ولكن هناك خطا فاصلا فلابد أن يعتمد على ذاته مستقبلا . . وهذا ما قد يحدث بعد الزواج

ذهب إلي والد العروس والذي بدوره رحب به وبالرغم من أنهم على معرفه سابقه سواء كانت معرفة مهنية أو معرفة عائلية قديمة ، فلابد من رأي هند

ماهو رأي هند ؟

كانت ميرفت تتوقع الرفض القاطع أو المماطلة من ناحية هند ، ولكن زادت جرعة المفاجآت لديها ووافقت على الزواج من وائل

ولكي نصل إلي ذروة المفاجآت كانت لديها شرط وحيد

هو الزواج مباشرة بلا استعداد لأي مراسم للخطوبة ، بل ستحضر أغراضها وستتزوج خلال شهر

لم يترك الشيطان رأس ميرفت حراً ، فقد داعبها بوسواس عن (سامح) واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم ، و فكرت قليلا أن يكون هداها الله عز وجل ، وأنها ستتزوج بأي حال

وبعد ثلاثة أسابيع سنري حفلا بسيطا وغير مكلفا وبالتقاطنا لعدد من الصور للحضور سنري هذه التعبيرات البارزة . .

هند . . وجه خشبي ملوناُ بألوان الزينة وليس ملوناً بألوان السعادة ، يحتله الوجوم ، وعينان ثابتتان لا تتحركان

ميرفت . . . عينان حادتان تائهتان بين هند ووائل ومصطفي والحضور

عبد العزيز . . وجه هادئ سعيد عليه ابتسامة الرضا

مصطفي . . عينان تراقبان وائل وهند من بعيد ، بلا روح ، مصطنع الفرح

وائل . . سعيد وبشوش وعلى شفتيه ابتسامة لا يشوبها أي قلق

منير . . لم نر له أي صورة !

طارا وائل وهند إلي عش الزوجية

وخفق قلب عمها مصطفي

وغرق منير في أوهامه ومكث في غرفته

وميرفت . . . . منتظرة نتيجة لكل ذلك .

****

12 أغسطس 2007

داخل غرفة النوم . . . وقفت هند مثل التمثال الروماني له حدقات ثابتة النظر للأمام مثل المشهد السابق لها عند السطح بعد مغادرة سامح لها

لم تكن مثل أي عروس ، العروس التي يعتريها القلق أثناء خلع فستان الفرح وتلقيها جانبا ، العروس التي تتورد وجنتاها خجلا من اقتراب العريس لها ، العروس التي تنتفض من ليلة الدخلة .

كانت جامدة تترقب أمراً

وائل كان مرتبكاً لهذه الليلة ، حاول أن يقترب منها ولكنها انتفضت كمن مستها شحنه كهربائية ووقفت بجوار خزانة الملابس كتمثال يوناني بلا حدقات . . . وتذكر نصيحة عمها مصطفي الذي همس بأذنه بكلمات خافته

(إن لم تكن هذه الليلة هي ليلة البناء فلتكن غدا أو بعد غد ، لا تنسي أنكما لم تتعودا على بعضكما البعض بعد والفترة كانت بسيطة جدا وقد يكون الخجل والحياء حائل بينكما . . . لا تتعجل)

اغتم قليلا ثم قال لها : لا بأس . . لتناول عشائنا أولا . . . فأنا جائع

كانت هي المرة الأولي التي يسمع فيها صوتها المبحوح التي قالت :

الصلاة أولا

استبشر وائل لهذه البداية الطيبة وخرج من الغرفة إلي الحمام ليغتسل ويتوضأ

أما هند وأثناء خروجها من الغرفة اصطدمت برؤية نفسها في المرآة التي احتلت ركنا من الغرفة ،لم تر نفسها أبدا عروس ، بل رأت شبح نفسها ، عيون غائرة وخطوط خضراء وزرقاء على وجهها وشعر منفوش ، كادت أن تنفجر العيون ولكن تصلبت في اللحظة الأخيرة

بعد أن انتهي وائل من إعداد نفسه كعريس وعاد إلي الغرفة وجدها متصلبة أمام المرآة وما إن رأته حتى استعادت رشدها وغادرت للحمام

أوقفها وقال لها : حبيبتي . . ليس المهم أن تكون هذه الليلة هي ليلة البناء لنجعلها غدا فأنت مجهدة من التحضير للعرس وسأرفع عنك الحرج هذه الليلة

هيا إلي دورة المياه ثم للصلاة ثم لتناول وجبة العشاء

ارتاحت هند لهذا الكلام وبدون أن تنبس ببنت شفه ذهبت إلي دورة المياه وأغلقت الباب وكأنها تريد أن تهرب إلى الشارع

وقفت هند أمام المرآة وخلعت عنها ملابسها ورأت جسدها لأول مرة في مرآة غير مرآتها التي تعودت عليها في بيت أبيها وقال بينها وبين نفسها " هنيئا لوائل بهذا الجسد ، وعذرا سامح . . فأنت الخاسر "

وأشاحت بيديها الوجه الذي ظهر أمامها على المرآة . . انه وجه سامح

قامت بالاغتسال وتوضأت وغادرت لتصلي منفردة في هدوء وسط دهشة زوجها لهذا التصرف

قاما لتناول وجبة العشاء دون أن يتبادلا أي كلام ثم قامت وغسلت يديها وفمها وذهبت مبشرة إلي غرفة النوم . . . وتمددت فوق السرير علي شقها الأيسر ،لم تسع إلي النوم ، كانت قلقة وتفكر في رد فعل وائل لما فعلته منذ قليل

كان في هذه اللحظة وائل يقف بالشرفة وقد أشعل لفافة تبغ ويتأمل هذه الليلة الغير مقمرة ، انقبض قلبه لعدم رؤيته للقمر ، وكاد أن يبتلع لفافة التبغ بدخانها من شدة الحنق والغيظ

فقد تبخرت أحلام أول ليلة من ليالي العمر مثل هذا الدخان الذي يخرج من أعماق رئتيه بعبث ولامبالاة

ألقي ببقايا أحلامه مع بقايا لفافة التبغ في الشارع

ودخل لينام بجوارها . . . رأي جسدها المثير ولكنه ميت بلا حياة

تمدد شقه الأيمن فوق السرير . . . كلامها مستيقظان . . عيون تترقب

غلبها النعاس . . ونامت

وغلبه الحنق . . . . ونام

حضر أهل العريسين ثان يوم . . ورجت الزغاريد أركان البيت

وعندما انفردت النسوة بهند تساءلوا في خبث ودهاء عن أول ليلة

ولم تجب هند مصطنعه الحياء والخجل

الوحيدة التي كانت تشك في أمرها هي ميرفت ولكنها مازلت تصبر على النتائج ولن تقفز فوق الأحداث

ومن الناحية الأخرى ، كان وائل يتوجس خيفة من عم هند الذي أجاب بصدق

أنه لم يقترب منها . . . مما جعل ملامح مصطفي ترتخي في حزن

وشرد وائل عن سر اهتمام مصطفي

أهو خجل الأب ؟

أنه نائبا عنه ؟

لقد كان مشتتا ولم يعرف كيف يفكر . . . ولكنه لن يجعل للهموم والأفكار الثقيلة تسير إليه ، لابد أن يثبت شخصيته وكيانه الليلة

الليلة سيحدد شخصيته الجديدة

-5-

18 أغسطس 2007

كان الأسبوع بمثابة سبعة أشهر مروا على وائل وهو حبيس بيت الزوجية ،لم يتبدل الحال والأيام كانت ثقيلة على الروح والنفس والعقل ، ليالي بلا قمر في سماء هند وبلا شمس في سماء وائل ، لم ينقذه أي برنامج من رفاهية التلفاز بل على العكس فقد زاده حنقا وغضبا

هند تحولت إلي إنسان آلي ، وكأنها مبرمجه على جدول يومي من إعداد الفطور للجلوس أمام التلفاز ثم تحضير وجبة الغداء ثم التلفاز ثم وجبة العشاء ثم النوم . . . كل شئ يصدر منه أصوات . . . إلا هي كانت يصدر منها الصمت

كان عليه حسم الأمر . . . . بعد تناول وجبة العشاء وبعد أن دلف إلي غرفة النوم . . أشعل الضوء الخافت من الاباجورة المجاورة

وقال : حبيبتي أمازلت خائفة منّي ؟ لقد مر أسبوع ولم تصبحي عروسة بعد ! ما الأمر ؟

قام بوضع كفه على كتفها لكنها انتفضت وقامت سريعا من فوق السرير . .تلهث ، كاد أن يشق دقات قلبها الصمت المحيط بالغرفة ويصبح ضوضاء صاخبة ، كان صدرها يعلو ويهبط في عدم انتظام وكأنها خارجه من سباق الماراثون

انتزع وائل قناع الإنسان الهادئ المتزن ليظهر وجه آخر غاضبا مكفهرا وسأل في حدة : ما الأمر ؟ لما تبتعدي عنّي ، لماذا تريدين أن يعبث الشيطان بعقلي ؟ أجيبي

اتسعت عينا هند بشكل مفاجئ في ارتباك وشحب وجهها فجأة وكأن دمائها هربت من جسدها خوفا من بطش وائل

ظن وائل أن هذا احد أعمال السحر الذي سمع عنه وقد تكون " مربوطة " بعمل ما حيث لا يقترب الزوج منها أو العكس فقد سمع بذلك كثيرا ، لقد أصبحنا نهرب من أسباب الواقع إلي أوهام وخيال وتعاويذ حتى يرتاح عقلنا من التفكير ، ولوهلة ظن أن هذا حدث وخاصة أن زواجهم تم بشكل مباغت وسريع

كان وائل قبل ساعة قد ابتلع أحد أقراص الشجاعة الزوجية التي تزيد من فحولته مما جعلته في كامل رغبته ، واستحوذت عليه شبقه

جذب هند من وقفتها الشمعية التي تعودت عليها من أول يوم زواج ، وألقاها أمامه على السرير ومزق ملابسها كاملة حتى ظهرت كمال جسدها الأنثوي الذي كان يصرخ في هدوء

لقد أصبحت في متناول يده ، تأملها للحظات ، لماذا لا يلتهم تلك الفطيرة الشهية الساخنة بين يديه ؟ هكذا فكر

لم يبال بتوسلاتها ولا دموعها ، حاولت أن تنهض من مكانها ولم تفلح تلك المحاولة ، كان وائل أقوي وأعنف وأشد فتراخت أعصابها وخارت قواها واستسلمت رغما عنها

وبعد أن هدأت ثورته الصاخبة ، عاد إلي طرف السرير و نظر إليها في جزع وألم وحسرة

فقد كان مثل السائر في الصحراء ورأي بئرا وتمني وجود ماء ليلقي فيه دلوه وليروى ظمأه من عذوبة ماءه

فوجد البئر بدون غطاء وألقي بالدلو في عمق البئر ليسمع صدي صوت وقوعه

فلم يكن هناك ماء ليستسقي منه . . . فقد كان فارغا

علم وائل أن البئر ليس سرابا . . . بل حقيقة مؤلمة

فقد تيقن أن هناك من اكتشف البئر قبله

وسُقي من ماءه

وتركه فارغا مهملا لغيره

فقط ليزيده عطشا وألما

******

20أغسطس 2007

تجمدت الدماء في عروق ميرفت وعبد العزيز بعدما اخبرهما وائل بحقيقة الأمر وأن هند ليست بنتا . .

لم يستغل وائل الأمر لصالحه وأخبرهما أنه لا يريد الفضيحة وستبقي زوجته لمدة شهرين ثم ينفصلا في هدوء حتى يعلم الجميع الخبيث منهم قبل الطيب أن الحياة بينهما مستحيلة

غادر وائل وترك الحيرة جالسة مكانه ، تسمر عبد العزيز في مكانه وتحول إلي إنسان ميت إكلينيكيا بينما قامت ميرفت في فزع إلي غرفتها فقد وصلت الآن النتيجة . . التفسير . . . للتغيرات التي طرأت على هند

كانت تفرغ محتويات حقيبة السفر وهي شاردة وكأنها تبحث عن شئ تفرغ ما في عقلها من أفكار سوداء وإجابات عن الأسئلة التي أحاطت بها وكان السؤال الأول : من ؟ من فض عذرية طفلتها ؟ طفلتها !

لم تعد طفلة . . ازدادت شرودا . . هل اغتصبت أم بإرادتها ؟ إراداتها ؟ ! من فعل ؟ بدأت الأسئلة تدور وتلف حول عقلها مثل الثعبان ويصبح رأسه هو السؤال الأول . . . من ؟ فإذا قضت علي هذا السؤال بمعرفة الإجابة ؟ فستعلم إجابات باقي الأسئلة بسهولة .

انشطرت عن نفسها لتجد شبحها وقف أمامها ، شبحها كان بمثابة الضمير الذي خُلق من لحظات وقف شبحها مثل القاضي الناطق بالحق

الشبح : أين كنت يا ميرفت ؟ أين كان عقلك أيتها الغبية ؟ أتتركين ابنتك في هذه المرحلة الحرجة ؟ ألم تري جسدها الثائر ؟ ألم تخافي من ثورة شبابها ؟ ألم تعرفي أنها بلهاء ، ساذجة ، هوائية ، سطحية التفكير

حاولت ميرفت الدفاع عن نفسها وقال بصوت مبحوح :

سافرت من أجل أن أهرب من منير ، أنه يحبني وأنا خشيت أن أقع كالفريسة في شباكه ، أنا امرأة واشتقت إلي أنوثتي وكدت أن أستسلم لرغباته ، ماذا أفعل ؟

الشبح غاضبا : أنوثتك ! ؟ يا لك من مراهقة مثل ابنتك ؟ أين تقوي الله ؟ أين خشيتك من الحرام ؟ أنتِ أظهرتِ ضعفك أمامه منذ البداية ؟ لو كانت لكي شخصية قوية لما تمادي في الباطل ؟ وفي الأخير . . . هربتِ

ميرفت : لم يكن لدي سوي الهرب من ضعفي وأنوثتي ونفسي فكرت في نفسي فقط . . . لم أفكر في أحد سواها

لا . . . تذكرت . . . فقد فكرت في هند وأن ابعد عن سامح

الشبح : سامح ؟ هذا الشاب الذي كل أمنيته السفر للخارج وأنتِ تعلمين ذلك . . أنتِ فكرت في نفسك فقط أيتها البائسة . . .

تبخر الشبح من أمامها و أفاقت ميرفت من ذهولها وعاد رأس السؤال يخرج لسانه ويلهث من جديد : من الفاعل ؟ من الذي فض اعتصام هند السلمي ؟

وبدأت الأسئلة تعصر رأسها في قوة

هل كانت راضيه ؟ أم مغتصبة ؟

هل كان الفاعل سامح ؟ أم شخص آخر ؟

تعلم أن الذي انفجر لن يعود إلي طبيعته مرة أخرى وأن نقطة الحبر الأزرق الذي عكر صفو اللبن الأبيض الرائق لن يعود رائقا مرة أخري

انهارت قوي ميرفت وجلست على مقعدها وقام شيطانها بغلق الغرفة وأسدل ستائرها وأظلمت الغرفة تمام وأضاءت شاشة العرض على الحائط المقابل لمقعد ميرفت

رأت هند وسامح معا في حالة انسجام غرامي ، هند تتمايل في دلال وأنوثة وكأنها عاهرة متدربة ، وسامح يغرقها بالقبلات والأحضان

أصبحا في التوائهما كالجسد الواحد وهمّ سامح أن يغرق في بحر اللذة

حتى شهقت ميرفت ومددت ذراعيها في ذعر وأشارت بكفيها بالتوقف وصرخت : لا . . لا . . لا يا هند . . كفي يا سامح حرام . . حرام . . لا . . لا . . . . لاااااااا

أفاقت ميرفت من الكابوس ووجدت نفسها غارقة في العرق و أن الغرفة كما هي وحقيبتها لم تخرج ما في رحمها بعد

استعاذت بالله من الشيطان الرجيم وأغمضت عينيها في إعياء فكري وشعرت بصداع كاد يفتك بها ويشقها إلي نصفين

لم يكن هناك مخرج من هذا الشقاء إلا بالبكاء . . .

بدأت نوبات الهذيان لعبد العزيز وتوالت الإغماءات وتدريجيا وصلنا إلي انهيار عصبي ونفسي . . . . بعد طلاق هند

وذهب مصطفي إلي د. سالم . . . . .

(مشهد سابق)

" أنجدنا يا د/ سالم ، نريد منك جهاز قياس الضغط وجهاز فحص السكر لإعادة القياس والفحص ل عبد العزيز "

******

منير كان جالسا في غرفته وعلى وجه ابتسامة الانتصار ، فقد كانت خططه تسير بنجاح ساحق

سافر سامح وابتعد عن طريق هند

عادت هند إلي والدتها بعد زواج لم يكتمل

لمعت عيناه في نشوة فقد تغلب على الشيطان في وضع الخطط

جلس منير علي الأرض وأمسك بقلمه الأسود العريض الخط وعلي لوحة ورقية بيضاء كتب

سالم . . . . خطة 1 (وصفة الباطنة)

هند . . . . خطة 2

ثم رسم خطوط متعرجة منبثقة من كل اسم ، وعلى كل خط كتب كلمات منفصلة

ثم ضحك ضحكة شيطانية مخيفة

وأراد أن يهنئ نفسه ويحتفل بانتصاراته

تناول أقراصه المخدرة وغاب عن الوعي وحضرت إليه هذيانه

لم تكن الهلاوس مقتصرة على ميرفت فقط ،بل تعدت هند أيضا

للمزيد من الكتب الحصرية ، زورونا على
موقع عصير الكتب
Www.Book-juice.com
وننتظر ارائكم عن رايكم فى الروايه
على جروب عصير الكتب
FB.Com/groups/Book.juice

– 6 –

(مشهد سابق)

ألقي سالم الورقة أمامه بإهمال ، وتطلعت عينيه للأمام وشرد وفكر وسأل : أين هند ؟

(في غرفتها)

هكذا أجاب عمرو المحامي على سؤال سالم المخصص عن هند ثم أكمل:

بعد طلاقها عادت إلي منزل والدها ولم تخرج من غرفتها إلا للضرورة القصوى ، حتى الطعام يأتيها إلي غرفتها

سالم متعجبا:

فتاة شابة وصغيرة في العمر تتحول بشكل مفاجئ إلي فتاة ترتدي النقاب ثم تتزوج بشكل غريب وفي غضون أيام يحدث الطلاق ، قد يكون الأمر طبيعيا وخصوصا في زمن العجائب الذي نعيش فيه . . الغير طبيعي عدم وجود فترة خطوبة من الأساس . . . مما سيجعلها وجبة دسمة لآكلي لحوم البشر من غيبة ونميمة..

ضحك عمرو ضحكة ساخرة ثم قال:

إن الناس دائما يسافرون في رحلة بحث عن المجهول وخبايا البشر . . ولا يطمئنوا حتى يصلوا إلي ما يريدونه ويشفي غليلهم

أزيدك قولاً . . هل تعلم أن هناك عريسا آخر يريد الزواج من هند؟

اتسعت عينا سالم ورفع حاجبيه في دهشة . . . . معقول؟

– نعم ولكن لا نعرف من هو وكيف حدث وهل على علم بطلاقها أم لا ؟

ابتسم سالم ولوي شفتيه ثم قال:

يا لها من مفارقة عجيبةً . . ننتقد الناس وأقوالهم وأفعالهم ونتهمهم بأنهم جواسيس ويتدخلون في حياة الآخرين . . . والآن نفعل مثلهم

عمرو : لأننا مثل الناس طالما نعيش معهم

سالم : بل الأصح . . . لأننا نحمل نفس الازدواجية يا عزيزي

سأله عمرو بشكل مباغت:

هل تفكر في السفر مرة أخري ؟ أراك غير متحمساً للبقاء ..

اعتدل سالم في جلسته وقال:

أعترف أنني متسرع بعض الشئ في إصدار أحكامي على المجتمع ولكن من الناحية الاقتصادية فإن عدد الصيدليات في نمو تصاعدي وأصبحنا

نحن العملاء والناس تتعامل معنا بشروطهم التي يملوها علينا . . ولكنني سأصبر حتى يتم زواجي العام القادم . . . حاليا الصيدلية تدر علىّ دخلاً معقولاً يكفي لحياة كريمة

عمرو : لست وحدك يا صديقي نحن في مكاتب المحاماة نعاني من نفس هذا اللا مبدأ . . إن بعضهم يحللون الحرام ويحرمون الحلال والمعاناة تبدأ في التنازل . . والمعظم وقع في هذه الشبكة..

سالم : ليت خطيبتي تسمع هذا الكلام إنها مؤمنة بالتغيير وتزعم أن التغيير قادم على أيدينا

عمرو ساخراً: لا أيدينا ولا أرجلنا . . . إنه نظام ونحن نسير وفقاً له . . الناس طالما في حالة من النفاق الاجتماعي . . لن يحدث تغيراً مطلقاً . . . وكما قلت . . مصابون بالازدواجية . . . وعندما نصبح ذو شخصية واحدة تحمل هدفاً واحداً . . . ونزيح أهوائنا الشخصية جانباً . . أستطيع أن أقول لك

(التغيير قادم)

كان سالم ينصت باهتمام لكلام عمرو . . ثم وجه بصره للأمام وقال بينه وبين نفسه : النفاق

استطرد عمرو : ليس من دونها كاشفة

قام عمرو مغادرا الصيدلية ولكنه تذكر شيء . . فاستدار وسأل :

وكيف حال منير؟

****

لم يترك منير نفسه للفراغ والضياع فقد كان مستمرا في وضع الخطط والخطط البديلة في غرفته الدموية السرية

فهو مازال يبيع الأدوية المخدرة طالما هناك من الحمقى يريدون تغييب عقولهم وتدمير أجسادهم..

لكنه أحس بشيء من الخطر يقترب منه . . . عامل الأمن لديه يلعب دورا رئيسيا في حياته . . . لذلك أقلل من نشاطه العبثي حتى يطمئن من أن لا يوجد عيون مراقبة له..

كان على علم أنه سيتم رفع سعر هذه الأدوية في الفترة القادمة لذلك لابد أن يلجأ لبعض الصيدليات الجائعة مادياً، حتى يُلقي بالطعم ويخرج بصيد ثمين، لذلك أعد شباكه ليرميها في بحيرة سالم وينقصه المدخل فقط . . . ما هي بوابة الدخول ؟

اغتم لرؤية لهذا المعتوه (ممدوح) ، فهو العريس القادم الذي سيتزوج هند، فهو حديث العهد بالانفصال عن زوجته وكما يقول منير دائما . . لديها حق . . من هي تلك بائسة الحظ التي تتزوج من غبي مثل هذا الثمل بنفسه ، شفاه زرقاء واحمرار عيون وأصابع سوداء ولسان سليط ، ذو أنفاس كريهة

وعيناه مشروطتان بخطوط بنفسجية اللون ، محترف المخدرات ولا ينوي الاعتزال رغم أنه بلغ من العمر فوق الخامسة والأربعين...

فهذا الأرعن مازال يتصابي ، دائم التحرش بالفتيات الصغار التي في عمر الزهور...مما سبب له فضائح كثيرة ، آثر أن يطلق زوجته ويستبدلها بالتي هي أكثر ثورة أنثوية ، كان منير يصفه بأنه مختل العقل ، معدوم الحكمة ، جهازه التناسلي هو قائده رغم أنه قائدا فاشلا وخسر معارك كثيرة

ممدوح يعمل مدرسا بمدرسة المهن الصناعية الثانوية ويبدوا أن الطلبة قد حولوه إلي إنسانا غبيا فأصبح لا يتفاهم إلا بالعصا كأنه يعوض النقص في رجولته بهذا العنف

ممدوح صار عميلا نموذجيا من عملاء منير . . . وكثيرا ما كان يشتكي من موت هرموناته الذكورية وأن بهذه المخدرات يحاول إحيائها من جديد ، بكل مكر وخبث استوعب منير وفهم ضالته المنشودة وهو من أرشده إلي طريق هند

قال ممدوح : لقد ذهبت إلي عبد العزيز ، وطلبت الزواج من هند . . . وفي انتظار الرد

مصمص منير شفتيه وأصيب بالغثيان والقرف عندنا تخيل برميل القمامة هذا سيتزوج حورية الجنة هند

سحب منير لفافة تبغ من علبتها وأشعلها باللهب المتراقص الخارج من ولاعته الخاصة والتي تشبه اللهب التي بداخله إزاء سماعه لهذا الخبر ثم سحب نفثه عميقة وشعر بأنه أكثر هدوءاً وأكثر ضعفاً في آنٍ واحد

فقال : هنيئا مريئا

ضحك ممدوح كاشفا عن أسنان قذرة أثر الدخان الزائد عن الحد وقال ببلاهة:

ما هذا؟ أهي وجبة ؟

توقف عن الضحك بنظرات نارية قُذفت من عيني منير وقال بقرف:

أيها الأبله المعتوه . . إنها بالفعل وجبة شهية وسيلتهمها من لا يستحق

ابتلع ممدوح هذه الإهانة وهضمها جيدا لأنه يعلم تمام العلم أن يتحكم في مزاجه عن بُعد فسجن لسانه ، ثم بعد برهة من الوقت قال بشئ من الخبث الباهت ورسم ابتسامة صفراء على شفتيه :

في ليلة البناء ستهديني هديتي مجانا . . . أليس كذلك؟

لم يتمالك منير نفسه وضغط على زناد غضبه وأصاب ممدوح في مقتل بقوله:

اسمع أيها الغبي ، لو تكلمت بهذا الحديث مرة أخري سأجعلك تتبول على نفسك تبولا لا إراديا وأعيدك لتمارس عادتك السرية ، هيا . . أغرب عن وجهي....

ارتعد ممدوح من تلك القسوة . . لماذا أمطرت السماء فوق رأسه حجرا من سجيل لتحرقه ؟

استعاد توازنه وقال : حسنا . . أنا امزح فقط

ثم قام مسرعا قبل أن يحترق أكثر من ذلك فيكفي ما أصيب به ....

رمقه منير وهو يغادر المكان ونظراته تحمل الكثير من الحقد والغل ، نظرات لها تاريخ ، ماضي عتيق لا يعلمه إلا هو . . .

(السر الأعظم) المخبأ داخل أعماق قلبه وسراديب روحه

مازال لديه الوثائق

مازال لديه الصور والمستندات

مازال الجرح . . غائرا

لازال ينبش فيه . . . كي يتذكر

ولا يزال الانتقام . . . هو سلاحه الوحيد

ولكن ينتقم من مَن ؟

بصق في قرف وكأنه يريد أن تصيب ممدوح الذي فارق المكان منذ لحظات وتمتم في غيظ مكبوت

إن الأيام التي تدور عكس عقارب الساعة . . . من يصدق أن هذا الأحمق ستزوج هند ؟

****

وضع سالم فنجان القهوة بعد أن فرغ منه على المنضدة التي أمامه متأملا هذا الحزن الذي طغي على ملامح سهام مما أعطاها جاذبية زائدة سألها : ماذا بِك ؟ أراكي على غير عادتك

تحول الحزن إلي عصبية واضحة متمثلا في عقد حاجبيها ونبرة صوت غاضبة وقالت:

هناك ظلم بيّن في العمل سيهلك الحرث والنسل ، هل لك أن تتخيل أن لدينا صنف من أدوية الشراب اقترب صلاحيتها على الانتهاء ولأن الكمية كبيرة رفضوا قبولها كمرتجع بل والأدهى أنهم طلبوا كشط تواريخ الانتهاء على العلبة الخارجية والداخلية ووضع لاصق خاص بتواريخ بعيدة

سالم : وبعد؟

-رفضت بالقطع وحررت مذكرة مفصلة وأرسلتها إلي وزارة الصحة مصاحبة بصور لهذه الأدوية حتى لا يسيئوا الظن ويتهمونني بالزور والبهتان ولنستعد جميعا للتحقيق

– ستفتحين قذائف الهاون على نفسك

– إن هذا جزء من الفساد الذي نتنفسه يوميا ، أليست هذه نار موقدة تحرق صحة الناس ؟ أيقبل هؤلاء المسئولين تناول هذه الأدوية بهذا الشكل؟

ثم خفت حدة صوتها التي وجدت أنه ليس من اللائق رفعه في حضور خطيبها . . . . . وتواصلت:

لماذا يرضونه على هؤلاء المساكين ؟

مع الأسف ليس للفقير . . . وطن

تنهد سالم ثم قال بهدوء :

سأنبئك بالذي سوف يحدث ، سيطالبون بسحب عينة من هذا الدواء ثم تقريرا مفصلاً بأن هذا الدواء صالح للاستخدام لثلاثة أشهر إضافية وبالتالي لا داعي لإعدام هذه الكمية وأن على المسئولين بالصيدليات صرف هذا الصنف الدوائي للمنتفعين وللجمهور وعليهم الالتزام بهذا التقرير وإلا تعرّض للمساءلة القانونية

ارتفع حاجبي سهام واتسعت عيناها وسألت بدهشة :

وكيف عرفت أن هذا سيحدث؟

ابتسم سالم وقال : لو تحدثنا بشكل علمي فأنت تعلمين تمام العلم أن التاريخ المكتوب على الدواء له معني وهو أن هذا الدواء سيصبح أقل

فاعلية لمدة زمنيه محدده . . وبالتالي لا ضرر منه علي الصحة العامة ولو أردت التحدث بشكل واقعي . . . أننا نستنشق الفساد والتبريرات القانونية ستطولك بشكل أو بآخر..

ولو تابعتي كم هي مشاكل وقضايا المهنة من خلال المنتديات الإلكترونية ستجدين أن قضيتك هي أهونهم على الإطلاق

هدأت سهام تماما ورضخت للواقع وسألت عن كيفية التصرف والذي أجاب سالم بدوره:

لا شئ. . الملتفون حولك اليوم . . سيخافون غدا . . . وسيؤثرون السلامة . . . وستجدي نفسك رافعة الذراعين أمام هذا التيار المضاد انصحي زملاءك بعدم صرف هذه الأدوية ولقد فعلتِ ما أملاه عليكِ ضميرك...

-سأصمد

-ضد من؟

-الفساد

-وحدك

-نعم

-في الإتحاد قوة...

-والحل

-أخبرتك به منذ قليل

-أنت انهزامي

-أنا واقعي . . لن يعد يثيرني هذا الحماس الفردي

-يسهل التحكم في الجماعة ولكن صعب مع الفرد

-وتستمر الجماعة ويصاب الفرد بالاكتئاب

أرادت سهام أن تغير دفة الحوار حتى تعبر تلك الموجة التي من الممكن أن تصيب علاقتهم بسوء

وتذكرت هند ومشاكلها التي حكي سالم عنها فسألت عن آخر الأخبار

قال : ستتزوج

صاحت : أبهذه السرعة!

-بل الأصح . . بهذه الواقعية ، إن السم الذي يخرج من ألسنة الثعابين البشرية لن ترحمها والأب مكلوم طريح الفراش ومنهار عصبيا والأم في حالة من التبلد ، وحفاظا على ما تبقي من كرامة . . . ستتزوج أول من يطرق الباب حتى لو كان صعلوكاً . . . إرضاءً لهذا المجتمع الغير ناضج

-ومن هذا الصعلوك؟

-لا أعلم تحديدا . . أنا لم ولن أسأل . . . لكن الوحيد الذي غير راضي عن هذه الزيجة هو عمها مصطفي . . فهو يري أنهم يصلحون خطأ بخطأ آخر

إن هذه العائلة تعيش في غرف سرية غير مفهومة ...

–انتبه لنفسك . . . ولا داعي لإثارة المشاكل ولا الفضول

نظر إليها . . . بتعجب:

وأنت أيضا أيتها المتنمرة . . . . نحن بشر وطالما نعيش بينهم سنجد

الفساد أيضا متواجد بيننا . . . ثم تلا الآية ...

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *

ثم اعتدل في جلسته وكأنه يستعد لإلقاء موعظة

سهام . . . وما نحن البشر إلا قصصا قديمة ومتكررة . . . لا داعي

للبطولة الزائفة . . . منزوعة القوة

(آية 41 ـ سورة الروم)*

– 7 –

-(إن غياب الأم لا يتيح للمرء دائما أن يكوّن شخصيته في ظروف مناسبة)

تخلت ميرفت عن شئ من حدتها ، وأظهرت جزء من أمومتها الذي كان متواريا خلف هذا الستار الفولاذي ، لابد من التنازل لمعرفة ما هو سر هند

طرقت باب غرفة هند لتستأذن في الدخول، أنها عادة جديدة اكتسبتها وهي أن تطرق الباب ! بدلا من الاقتحام المفاجئ التي تعودت عليه في الماضي، وجدت هند جالسة على سريرها وضعت ساقيها إمام صدرها وما إن رأت أمها تمددت وأحكمت على نفسها الغطاء وكأنها تشير انه لا داعي لأي نقاش....

جلست ميرفت وبكل هدوء سألت:

حبيبتي . . . هل أنتِ على استعداد لهذا الزواج الغامض؟

وكأن هند ابتلعت لسانها . . . ظلت صامته

تنهدت ميرفت في يأس وقالت:

حبيبتي . . أنا إلي الآن لم أسألك عن الذي حدث لكي أثناء سفري ، سأعتبره ماضي ومات والأموات لا يعودون وأنك تزوجتِ زواجا شرعيا وتم الطلاق بشكل شرعي أيضا ، فلا داعي للنبش في الماضي . . . وما أريد معرفته هل أنتِ على

استعداد لهذا الزواج؟

أومأت هند رأسها بالموافقة

وكأنها تريد أن تتخلص من ثرثرة أمها . . . فهذا الزواج سيمنحها حرية الانطلاق من جديد . . لا يهم . . من هو؟

-كلهم مثل بعضهم طالما لايوجد . . . حب...

الصمت خيّم علي المكان واخترقته ميرفت وقالت:

صحيح أن هذا الزواج سيرد كرامتك أمام الناس، ولكن قلبي يُحدثني أن هناك أمراً خفياً ، فهذا الغريب، لا نعلم من أي أرض خرج ولم يهتم بزواجك من قبل ولا طلاقك وكأنه مدفوع إلينا دفعا . . لقد أعطينا فرصة لأنفسنا بالتفكير على مهل وتأن، إنه الآخر حديث الطلاق من زوجته السابقة

ولكننا لم نقحم أنفسنا في تفاصيلها . . مهما كان . . فهي حياته الخاصة

قامت ميرفت وقبل أن تغادر الغرفة، انحنت على ابنتها وأخبرتها بخطئها حينما سافرت

انفجرت العبرات من أعماقها...

الآن فقط علمتِ أنك كنت مخطئة

الآن قلبك يحدثك....

الآن تتأني....

نتعلم ونتأمل ونتأنى بعد فوات الأوان

ما الفائدة؟

ميرفت تسألها عن الذي حدث؟

هند ذاتها لا تعلم ما الذي حدث

وكأنها تعمدت فقدان ذاكرتها

كانت ليلة سوداء حالكة

ظلمات بعضها فوق بعض

ليلة بلا قمر

ليلة أخطأت فيها الحسابات والتوقعات . . . . مثل أمها تماما

الكل أخطأ...

والكل يدفع ثمن هذه الأخطاء

لا يدفعونها أموالاً

إنما يدفعونها من احتراق أعصابهم ومن إشاعات تحوم حول

سمعتهم وشرفهم

حاولت أن تتذكر تلك الليلة المشئومة....

ولكنها أطفأت شاشة العرض. . . . فقد كانت تعرض فيلما

مظلما . . . أرخت أهدابها وغطت في سُبات عميق....

****

"التطرف في المشاعر يكون غالباً من النوع الهادم سواء كان فرحا شديدا أو حبا شديدا . . . ففي كل الحالات . . العقل يُلغي وتبقي المشاعر هي الباقية . . ولعلاج هذا الأمر لابد من جمع المعلومات الكافية عن الذي تحبه أو تكرهه بشده . . . لعلك تُغير رأيك"

بكتابة آخر كلمات تلك الخاطرة في مفكرته الخاصة كان الشيخ سيد ماثلا أمامه في هدوء ، رحب سالم بقدوم هذا الشيخ البسيط المثقف . . . ودعاه للجلوس إلي جواره وبعد السؤال عن الحال والأحوال . . دفعهم الحديث عن هند

سيد : نعم . . . تزوجت هند للمرة الثانية منذ أيام قليلة

-عفوا شيخ سيد . . أريد أن أفتح معك حوارا بخصوص شئ ما . . ارجوا أن لا تعتبرها تدخل في أمور خاصة ولكنني سمعتك في حوار سابق مع الأستاذ مصطفي عن التدين الزائف . . . وأريد أن أعرفه . . . ماهو التدين الزائف وعلاقة ذلك بهند ؟

-سأشرح لك . . . منذ سنوات قريبة وأعتقد أنك كنت في حالة سفر خارج البلاد ، رصدنا ظاهرة غريبة وجديدة وهي إقبال الشباب على المساجد ، إطالة اللحى ، ارتداء النقاب ، انتشار عدد من المعاهد الدينية لإعداد الدعاة ، تبادل الأشرطة المسجلة والكتيبات الصغيرة للدعاة الجدد ، رأينا في رمضان وخاصة صلاة

التراويح والتهجد . . إقبال غير مسبوق عـ . . . .

قاطعه سالم مندهشا :

وماذا في ذلك؟ إنها هداية من الله عز وجل وأفضل كثيرا من مظاهر أخري كالتسكع في النوادي والمقاهي وشرب المخدرات والكاسيات العاريات...

ابتسم الشيخ سيد وقال:

لا تتعجل يا د . سالم . . أنا لم أنكرها . . أنا قلت رصدنا . . . وشرحت لك التفاصيل حتى تفهم ما حدث...

خجل سالم من اندفاعه وتهوره واعتذر....

أكمل الشيخ سيد:

لا عليك . . حماسك مقبول . . ولن أقول لك كلاما إنشائيا بل سأخبرك بقصص حقيقية ، أمثلة حقيقية لبعض الشباب المتحمس لدينه

قال لي أحد رواد المساجد أن (فلانا) نهره وزجره لأنه يقوم بالتسبيح من خلال السبحة بعد الصلاة . . وانه يجب التسبيح على أصابع يديه واتهمه بالجهل ، وحدث خلافا حادا في المسجد هذا الشاب كان على صواب . . وأيضا هذا الرجل كان على صواب . . ولكن لأن كل منهما اتبع هوي نفسه وكان الأسلوب

والطريقة خاطئة . . . فحدث ما حدث...

وهذا مربط الفرس . . بعضهم ظن أنه ذو علم وفهم ووضع نفسه رقيبا على تصرفات من حوله وأعلن نفسه قاضيا وأصدر الحكم وعلى المتهم . . . التنفيذ بلا استئناف...

إنها السطحية والاندفاع والجانب المظلم من القمر . . . وعدم الاحتكاك بفئات المجتمع المختلفة وبعقولهم المتباينة حدثت فجوة بين القول والفعل والقائل والفاعل

فالناس جميعا ليسوا سواء . . ويجب مخاطبتهم على قدر عقولهم وهكذا . . . وهذا مثال بسيط ولكن كان له دوي مخيف

-وهند يا شيخ سيد ؟

-ذات مرة جلست بين النساء تحاول إقناعهم بارتداء النقاب وتحدثهم عن الحلال والحرام بجهل...مما أدي إلي نفور من حولها بأسلوبها الفظ

هذه نماذج بسيطة ولا أريد أن أكثر عليك . . . لقد ترك الشباب مهنهم الأساسية وأصبح كل شغلهم الشاغل هو التنافس في إلقاء الدروس بعد كل صلاة . . . ونسوا أن كلهم دعاة في أماكنهم . . . فقط عليهم أن يتقنوا عملهم..

وأنا التحقت بأحد معاهد الدعاة لتصحيح العقيدة ولكن تجرأت

على نفسي وقمت بإلقاء الدروس وخطب الجمعة من باب الدعوة . . دون أن أترك مهنتي الأساسية في منطقة التجنيد العسكرية . .

لهذا قلت أنها ظاهرة . . . وخلال السنوات القادمة سنتأكد من أنها كانت ظاهرة إيجابية أم فقاقيع اختبار

* * * * * *

ديسمبر 2007

التقي سالم وعمرو في نهار دافئ بأحد النوادي هربا من ملل الصيدلية وملل مقاطعات العملاء والمرضي...

بدون مقدمات قال عمرو :

أعلمت بأهم الأحداث؟

-قل أيها المراسل الصحفي

نظر عمرو في عيني سالم حتى يعرف نتيجة القنبلة التي سوف يلقيها بعد قليل وقال:

هند . . . . حصلت على الطلاق

وكأن القنبلة كانت معطلة فلم تُحدث أي انفجار . . . وقال سالم بهدوء:

كان متوقعا . . . فالذي حدث هو بناء خاطئ ولابد من

الهدم . . . ففي هذه الحالة . . الهدم صحيح...

عمرو : الغريب في الأمر أن زوجها الثاني أعطاها كافة حقوقها ..

-إذن المشكلة تكمن فيه

-لا أعلم

-ألم يحدث أي انهيار عصبي لوالدها أو شئ من هذا القبيل؟

ضحك عمرو وقال:

لا . . بالعكس فوالديها في حالة عجيبة من الاستقرار النفسي واعتبروا أن هذا الطلاق رد اعتبار للمرة الأولي، وخصوصا أنهم أذاعوا في الإذاعة الداخلية للحي أنها حصلت على كافة حقوقها وأن العيب فيه . . . ولكن بالقطع الشائعات على الحمام الزاجل بينهم لن تهدأ.

-ماذا قالوا؟

-قالوا أن زوجها مدمنا للمخدرات وان هند وعائلتها خدعوا فيه وخاصة انه مدرس وان هذه المخدرات أصابته بالعجز الجنسي ، لذلك كان هناك فارق في السرعات سيدي الرئيس

ضحك سالم لدعابة عمرو وقال:

أسمعت بمقتل ابن نائب مجلس الشعب السابق

-بالقطع

-في ذلك اليوم كنت بالصيدلية ولم ابرح من مكاني وكانت تصلني الشائعات كالبريد الالكتروني في سرعتها . . . يومها سمعت خمسة سيناريوهات مختلفة وكأنها أفلام تسجيلية قصيرة والكل اجتهد في وضع السيناريو و الحوار والإخراج . . . هل تدرك خطورة الأمر؟

إن الناس تحكي ما تراه ملائما لعواطفها فإنها تضخم بعض العواطف لتحميها من عذاب الشكوك وعدم اليقين وملاحظاتهم دائما تكون أكثر بُعداً عن الصواب . . ومثالنا السابق خير دليل . . . بدلا من الاتعاظ والدعاء بالرحمة وبغض النظر عن أي سيناريو

فإنهم تمادوا في السيئة وأحاطت بهم خطيئتهم وخطيبتي تظن أن تغيير هذا المجتمع بما يحمله من تناقضات سيصبح سهلا بالشعارات!

وهند نموذج أنها احدي ضحايا المجتمع

صمت سالم وتناول كوب الشاي الذي أمامه ثم تذكر الشيطان....

وسأل عمرو : ألا يوجد أي أخبار عن منير؟

عمرو : اقتربت نزول كلمة النهاية ومع ذلك . . فإن اصطياده

مازال صعبا

****

-مازالت ارتجاف ألهبة الشمع تتحرك وترسم خيالات معوجة على الحائط وكأنها ترقص فرحة بانتصار منير ونجاح خططه وخاصة مع العقبة الكبرى . . . هند

كما دفع ممدوح القذر للزواج من تلك الفطيرة الشهية هو أيضا من طالبه بالطلاق وإعطاء كافة حقوقها بعد أن أثبت أنه يحمل تاريخ صلاحية منتهية كزوج وممارسته للشذوذ كانت كافية بأن يهرب بعيدا عن نفسه وعن الجميع

فتح أمامه الورقة الكبرى والتي تشبه خريطة حرب . . . وسجل هند . . . . خطة 3

سالم . . . . . خطة 3

الأدوية . . . . . استراحة قصيرة بين الأشواط

ميرفت . . . . . لم يتبق إلا القليل

وكعادته . . ضحك ضحكة شيطانية ارتج لها المكان فزعا....

لم يحتفل هذه المرة بتناوله الأدوية الهلوسة . . . فقد كان بحاجة إلي عقله

أكثر من إشعال عدد من الشموع . . . لتعطيه مساحات أكبر من الرؤية . . . . رؤية السر الأعظم . . . سيخرج هذا السر من رحم

صندوق خشبي قديم ذو حجم متوسط . . . سيعيد ولادته مرة أخري

فهذا السر هو المولود الذي احتفظ بعمره البرئ حتى لحظته هذه

لم يرد لهذا المولود أن يري النور . . . لا يريد أن يعرفه أحد

أخرج صورا وأوراقا كثيرة . . . . وتذكر

عاد لسنوات بعيدة جدا . . . سنوات العشق والهوى . . سنوات

كان قلبه ينبض بالحب والرحمة . . سنوات هادئة في حارة قديمة .

لازالت تحمل نفس الاسم إلي وقتنا هذا (حارة اليهود)

****

منير كانت له أصول يهودية قديمة ولكن جده اعتنق الإسلام حتى

لا يترك مصر وظل في هذه الحارة فقد كانت مرتعا للمسلمين

والنصارى أيضا فلم تقتصر على اليهود فقط وسكان الحارة

مرتبطين ببعضهم البعض

اخرج صورة لوالده وهو يحمله وهو صغير فقد كان يعمل ساعاتي

وتذكر الشارع الذي تشعر من نظافته أنه زجاج إلا أنه بلاطا

اسودا...

صورة أخري أمام المعبد اليهودي

وصورة ثالثة لجده مع أصدقاءه

عندما كبر منير أصبح شبيها لجده بدرجة كبيرة ...

ارتجفت أطراف أصابعه العشرة وارتج قلبه وهو يحمل صورة احدث مما الذي كان بين يديه منذ قليل

إنها هي . . . . . العشق . . . منال

منال . . . حبيبته الأولي وزوجته الأولي وحياته

الأولي . . . . . فقد عرف الحب وشعر بشبابه عندنا عرف منال

أحبها حبا تجاوز العشق والعبادة، وكان فوزه الأكبر هو زواجه منها فقد حظي بنعيم الدنيا وجنة الآخرة .

تذكر ليلة زفافه بها . . . . لم يعد يفصل بينهما أي حواجز أو موانع لكن منال هي من وضعت السد العالي قبل بناءه في الواقع . . . ليس لتخزين العواطف الجياشة ولا الحفاظ علي الحب الفائض عن الحد . . . . إنما رهبة وخشية...

صبر عليها لأنه لا يريد جسدها فهو أعمق من ذلك اكتفي بروحها وريحانها . . . ظن أنه قيس و عنترة وجميل . . . ولم يسمع عن هؤلاء بأنهم أقاموا أي علاقة حميمة بمحبوب . . . . الحب العفيف كان قراره . . . ولو تساءلنا كيف صبر . . . لن نعلم

هام في فضاء الفضيلة والسمو الروحاني سبع سنوات ، ظلت منال عذراء وهو أيضا

لم يفسد هواءهم النقي إلا عندما فتحا الباب واستقبلا الريح المحملة

بالأسئلة التقليدية . . . أين الأحفاد؟

وبالطبع كانت ريح صرصر عاتية من الأهل . . . لم يفهموا أن علاقتهم ببعضهما هي أكثر سموا لم ولن يفهموا

وفي خلسة من الزمن استسلمت منال لرغبة أهل زوجها وذهبوا للطبيب وعلموا أنها ليست فاضلة لم تكن في عفة مريم العذراء هبط منير من فضاء العشق وارتطم رأسه بحجر الواقع ، تهشمت عظامه وبرزت عيناه من محاجرها وتحطمت دماغه وخرجت منها مئات الأسئلة ، كيف يجمع أشلاء نفسه ؟

أصاب الشلل قلبه وهجر زوجته وتحول منير إلي كائن ليس حيا....

كانت ليلة غير مقمرة . . . عندما وافتها المنية . . . ماتت منال وفي قلبها عفو ورحمة واعتذار وعذر

جاء إلي منير تقرير الطبيب أرسله أبوها إليه ...

جاء في هذا التقرير

(أن تلك السيدة التي استمر زواجها سبع سنوات دون أن يتم اتصال جنسي مع زوجها لأنها تخاف والخوف يؤدي إلي انقباض عضلات الحوض فيعوق الاتصال لأن هذه الفتاة تعرضت لحادث اغتصاب وهي في السابعة من عمرها واختزنت الآلام في عقلها الباطن وتفجر الخوف والذعر مرة أخري في ليلة الزفاف)

قضي منير ليال كثيرة بلا قمر ، ذبل و شحب وقهره الاكتئاب الأسود لم يغفر منير لنفسه فهو الذي جني علي حبيبته . . . هو الذي قتلها . . لم يسمع لها وكيف لم يفعل وهو . . . حبيبها ؟

اختزن آلامه هو الآخر في عقله الباطن وعاش لسنوات في ذكرياته لم تهضم المعدة تلك الآلام ولم يقو القولون على التحمل فأصبح عصبيا فلابد أن يلفظ ما اختزنه لسنوات

وذهب منير للمستشفي الحكومي . . . وهناك . . رأي منال لو تأملنا الصورة التي بين يدي منير الآن . . لرأينا . . . .

أن منال قريبة الشبه من ميرفت وهند

وظل حائرا . . وسأل هل من الممكن أن يعودوا الأموات إلي الحياة في أشخاص جدد؟

ارتبك منير لرؤية ميرفت . . . كانت أكبر من منال فتخيل منير أن لو منال عاشت لأصبحت في نفس هيئة ميرفت ، ظن أن رحمة مهداه من الله عز وجل ، ارتدي عباءة المخبر السري وعلم أنها زوجة وأم . . لم يكترث كثيرا لهذه المعلومات . . . تعمق في الحفر للبحث عن مخرج ووجد بصيصا . . . أخت زوجها . . . لم تتزوج بعد . . . فليتزوجها وليقترب من ميرفت وافتعل الخلافات وظل يحارب حتى انتصر بالشقة في الطابق الثالث التي يسكنها إخوة زوجته

وهكذا . . . اقترب من منال . . روحا وجسدا وعاد شغفه لمنال . . يريدها . . . كأنه يريد أن يكفر عن ذنبه وانه اخطأ في حقها وأنه لم يفهم في وقتها....

كلما رأي ميرفت . . . تتحول في عينيه إلي منال...

حتى وصلنا حادث السطح . . الذي وجد فيه ميرفت . . ولأنه لم يتحمل الحياة مع زوجته فقد اضطر للهرب منها بالأدوية المخدرة والتي عرف طريقها من الصيدلية التي عمل بها

صعد إلي السطح وهو مخدرا . . . رآها . . منال . . اندفع بكل شوق وبدون تفكير . . . طلب أن يغفر لها . . . . طلب أن يسامحها . . . . أنا احبك . . . . أعشقك . . أنا اعتذر . . . . اقترب أكثر وأكثر . . . انفرطت ميرفت منه وألقته على الأرض...وتناثر كقطع زجاج مبعثرة أفاق من شروده . . . وبكي . . . ظن أن منال لم تصفح عنه بعد كانت ليله بلا قمر . . . كره هذه الليالي . . . لقد أصابته بعقدة نفسية

أفاق من ذكرياته . . . ووضع سره الأعظم في رحم الصندوق مرة أخري وكأنه يحتفظ برضيعه في الحضانة

وعاد مرة أخري من بقايا إنسان

إلي شيطان مريد يريد أن يحرق الجميع...

-8-

تغيّر مناخ هند من اكتئاب الخريف تلاها برودة الشتاء وحاول أن تزدهر في الربيع إلا أنها استقبلت الصيف بحرارته وسخونته استقبالا خاصا ، فقد أطلقت لنفسها العنان . . طلاقها الثاني كان دافعا للانطلاق ، اندفعت بكل أنوثة صارخة ، ملابس ضيقة ، مساحيق التجميل بتطرف ، ترك الشعر كالشلال ينسدل على كتفيها ، ولم تنس ثورة أنوثتها المتفجرة المتمركز في ميدان نهديها .

لم تعد تهتم بألسنة الأفاعي التي يطلق فحيحها من حولها بل يروقها عيونهم الهائمة سواء كان سخطا أم رضا . . . المهم أن تلفت الانتباه ألقت بفكرة العودة إلي الدراسة في غياهب الزمن وتم الاستعاضة بالانضمام إلي النادي . . . فالنادي من وجهة نظرها مثل

المعهد . . . اختلاط بين الجنسين وضحك ومرح وأوقات لطيفة مع الفارق أنها هي من تجذب عيون الآخرين وهي تلقي بمحاضرتها الخاصة . . فهي أستاذ الجامعة وواضعة الاختبارات وعليها الاختيار من بين هؤلاء الجمع مذكر سالم لكي يصبح معيدا في جامعتها

كانت في حالة تطرف جنوني ، لم يستطع أحد أن يوقفها وإلا ستدهسه تحت عجلاتها

الذي كان يراقبها من بعيد هو عمها مصطفي . . فهو على يقين أنها

اشتركت في فرقة مسرحية جديدة وتؤدي دورا غير دورها الطبيعي ويجب أن تنتهي من العرض ويسدل الستار كي تعود لشخصيتها الطبيعية ولكن كيف؟ سؤال احتار في إجابته

هذا السؤال لم يسأله منير . . . فقد رآها منير كالمدينة الصاخبة المثيرة ليلا ، النائمة الغافلة نهارا

ورأتها ميرفت أنها ضد الطبيعة الكونية . . فقد فلت زمام الأمور ولم تعد هند مراهقة لكي تخشي عليها من النيازك النارية التي تريد اختراق الغلاف الجوي المحيط بهند . . . بل إنها سيدة وامرأة كاملة مسئولة عن أفعالها . . . . نضجت هند بشكل مفاجئ ،

فالأب هارب والأم خرساء والمجتمع المحيط غارقا في الغيبة والنميمة إذن فلتتوحش . . ما المانع . . ؟

* * * * * * *

كانت الخطة الثالثة التي أعدها منير في إطار التنفيذ . . . فقد أوشكت كمية الأدوية التي بحوزته علي النفاذ و المنقذ هو سالم الصيدلي

وفي خفة الثعلب قفز من بين الدخان الكثيف الخارج من أعماق رئتيه إثر سحب عميق للشيشة التي كان يدخنها . . . . قفز الثعلب لكي ينقض على فريسته . . . فهل يفلح؟

بابتسامة مصطنعه على شفاه سالم استقبل ابتسامة ماكرة كانت على شفاه منير . . . فالاثنين في ترقب وكأنهما سيواجهان بعضهما البعض في

مباراة ملاكمة كلامية . . . والأكثر فكرا هو من سيفوز ....

دقت المطرقة علي الاسطوانة النحاسية وبدأ منير بالهجوم فسأل بشكل مباغت: كيف حال شياطين الإنس معك يا د/ سالم ؟

تلقي سالم تلك القبضة بصدر رحب ثم قال : ماذا تعني؟

امتدت قبضة منير بقوة اكبر وقال:

خفافيش الليل الذين يطيرون في الظلام بحثا عن إرضاء أمزحتهم الفاسدة، هؤلاء الملاعين كانوا يظهرون لي فجأة كالأشباح أو زوار الفجر عندما كنت أداوم في الصيدلية ليلا...

ضحك ضحكة عالية لم يشارك سالم معه، ثم بكل قوة سدد إليه قبضه في فكه وقال:

إننا يا سيد منير صيدلية محترمة ذات سمعة طيبة وعملاء محترمين وغير معروف عنا إننا منفذ بيع لهذه السموم

تلقي منير تلك القبضة بسهولة وقبل أن يفيق منها أعقبه سالم بقبضة من تحت ذقنه وقال:

أعتقد أنه لم يصلك أي أحاديث هامسة سرية عن هذه الصيدلية وأنت جالس في المقهى بين الأدخنة وبين مدمنيها

ارتد منير للوراء وترنح قليلا وكاد أن يسقط . . .

وطلب استراحة من هذه اللكمات فقال:

استمحيك عذرا د/ سالم لم أقصد الإساءة لك ولا لصيدليتك انه سؤال طبيعي وكما أخبرتك من قبل أنني كنت اعمل بصيدليه ولي معارف صيادلة ومساعدين صيادلة والكل اجمع أن هذه زيارات إجبارية تحدث من قبل المدمنين مثل مفتشي وزارة الصحة

هدأ سالم وأرخي ساعديه وقال:

صحيح . . لقد رأيت هؤلاء المسخ وكنت أرسلهم إلي صيدلية ذات سمعة طينية غارقة في الوحل وهؤلاء الشر ذمة يعرفونها جيدا ولكن الشيطان صاحبها يبيع الأقراص بأسعار سياحية والغريب أنه يتهمونه بأنه معدوم الضمير . . ألم يروا أنفسهم في المرآة ؟

منير استعاد قواه وآثر السلامة وجلس على أرض حلبة الملاكمة وقال :أعرف هذه الصيدلية

جلس سالم أمامه ولكنه كان على استعداد للتصدي والهجوم خوفا من غدر المنافس:

وأنا كذلك . . . يكفي أنه أحاط بنفسه بسياج من حديد وكأنه في زنزانة ولا يفتح إلا مساءً ، وقريبا جدا سيسقط في وحل أعماله

ابتلع منير ريقه بصعوبة وكأن الكلام موجه إليه . . . حاول منير تغيير طريقة اللعب . . . فتحولت إلي لعبة الشطرنج . . . .

وبدأ منير بتحريك عساكره:

أسمعت بالدواء الجديد (ترامادول)

رد سالم بعسكري مقابل وقال : :

نعم أعلم به فهو دواء مسكن قوي وأثناء التدريب بالصيدلية من عشر سنوات كنت أجده راقدا بين أشقاءه الأدوية في هدوء ...

ضحك منير وقام بتحريك الحصان وقال:

الجديد الذي لا تعرفه أن هذا الدواء حاليا هو العالم السحري لسعادة الزوجين ، لأنه يثير هرمون السعادة لمن يتعاطاه ،أقصد لمن يتناوله

تعجب سالم من حديثه وقام بتحريك الفيل وقال:

ولكنه الآن ضمن جدول المخدرات...

حرك منير الملك فجأة وقال:

لو أنك بادرت في بيعه بالتأكيد سيختلف عملاؤك وخصوصا من يحتاج إلي ترميم نفسه وإعادة حيويته وشبابه من جديد

قام منير من مكانه تاركا اللعبة كما هي . . . فهو فشل في كل لقاء مع غريمه . . . ولكنه ترك رقعة الشطرنج بدون أن يكمل اللعب . . حتى يعطي الفرصة لسالم أن يلعب في الجهتين....

تأمل سالم منير وهو يغادر الصيدلية وأغمض عينيه وشده لثوان عديدة كان وهج الحرارة التي غمرته والألم المتزايد الشدة لرأسه

يمنعاه من التركيز . . . فقد تعري أمام نفسه . . رغم انتصاره الفكري علي غريمه . . . إلا أن الفرحة لم تدم طويلا . . . وسأل نفسه :

لماذا هذه الازدواجية؟ يبدو أنه هو الآخر مريض بها . . . لأنه يبيع هذا الدواء ولكن لعدد محدود جدا من العملاء . . . والغرض معروف.

ولكن من داخله لم يزح الستار ليكشف ما به . . وكأنها عورة؟

توالت الأسئلة فوق رأسه كقطرات ماء تتدفق عليه نقطة تليها نقطة بهدوء حتى تصيبه بالجنون

اهو الخوف؟ اهو كلام الناس؟

اهو الضمير . . . ؟

ماهو الضمير....

هز رأسه بعنف . . . وأمسك قلمه وفتح مفكرته . . . . وغمر احدي صفحاته بهذه الكلمات

في ذات الإنسان يكمن في أعماقه مساحة مجهولة . . . منطقة مقدسة . . . غرفة معقمة من البكتريا . . . طاهرة كالعذراء . . . محاطة بأسوار وحواجز . . لا يمكن أن تخترقها قوة الشياطين ولا الجن ،ولا يستطيع الخداع أن يتسلل إليها ، إنها منطقة يذهب إليها الإنسان أحيانا ليعلم الحقيقة المستترة وهنا يحدث عراك بسبب الصدام بين

هوي النفس والحقيقة . . . إنها منطقة الضمير.

سالم

******

حاول سالم أن يلتزم بوقاره أمام خطيبته في اللقاء الأسبوعي إلا أنه قد أثار انتباهها عندما ذكر لها الاستخدام الحديث لدواء الترامادول ثم أردف قائلا:

بالرغم من أن هرمون السعادة يُفرز من داخل الإنسان إلا أن الناس يبحثون على من يثيره بطريق غير مباشر من الخارج

تساءلت سهام : أعتقد أنه صحيح من الناحية العلمية

قال سالم : نعم إن طريقة عمله هو تثبيط امتصاص السيروتونين

Tramadol is a centrally acting analgesic with a unique mechanism of action that involves both μ-opioid receptor binding and norepinephrine and serotonin reuptake inhibition

لذلك وجوده يحث على السعادة والنشوة . . . ولكنها سعادة صناعية ، مزيفة ليست نابعة من بئرها الطبيعي وعدم وجوده يسبب الاكتئاب ، وهذا ما تحاول إصلاحه الأدوية المضادة للاكتئاب رغم أنه من آثارهم هو إطالة فترة العلاقة الزوجية وبالتالي تحول الأثر الجانبي إلي الجانبية استخدام رئيسي

قالت سهام : أنا متعاطفة مع هؤلاء الفقراء إلي السعادة

سالم : السعادة لم تعد بالمجان . . أصبحت سلعة ولها ثمن

قالت سهام وقد تغشي على ملامحها سحابة حزن :

صدقت . . لقد تأملت حالات الزميلات بالعمل ، إنهن فتيات في عمر الزهور لكل زهرة لها عبيرها الخاص ومع ذلك لم يتزوجن بعد . . وتتراكم عليهن سنوات القلق والحيرة مما يؤثر ذلك عليهم نفسيا وعصبيا ، ماذا أصاب هذا المجتمع؟

سالم : ليس سببا واحدا . . إنها ظروف كل شاب وفتاة ، هناك أسباب عامة ـ نعرفها جميعا ـ ويوجد أسباب خاصة لكل منهم ...

سأقص عليكِ قصة طريفة حدثت لي شخصيا . . بعد أن فتحت صيدليتي بعدة أشهر وقبل القدوم لخطبتك كانت قد أتت جارة لي إلي الصيدلية وعرضت عليّ أن أتزوج ابنتها . ! وأبلغتني أنهم على استعداد التنازل عن أمور كثيرة . . . في حين أنني لم أر ابنتها ولا أعرف اسمها . . . ولأنني كنت مُطلق لحيتي في ذلك الوقت وقد ظنّت أنني كبير في العمر فمظهري الخارجي يوحي بأن قطار الزواج غادر محطتي بلا عودة . . . وعندما أخبرتها بحقيقة عمري وكذبت عليها وأخبرتها أنني مرتبط . . . . من وقتها لم أرها ...

ارتجف قلب سهام وظهرت على ملامحها أمارات الغيرة

فالمرأة هي المرأة. . . . . قالت بتوتر :

وهل كانت جميلة؟

-من؟

-ابنتها

-قلت لكي إنني لم أراها

-ولكنك بالتأكيد فكرت وتخيلت

-أظن كنت طلبت رؤيتها

سكت سهام حزنا

تمتم سالم في صوت غير مسموع : تبا للنساء

استرعي ذلك انتباهها وسألت : ماذا قلت؟

نظر سالم إليها قلت : تبا للنساء

ضحكت سهام وبنفس نبرة الغيرة التي احتلت مستوي صوتها سالت

بشغف:

وكيف حال العزيزة هند؟

اتسعت عينا سالم في دهشة ورفع حاجبيه في ذهول وكأنه يريد أن

يقول . . . وهل هذا وقته . . ؟

ولكنه بسرعة البديهة قال:

حقا . . . . تبا للنساء

* * * * * * *

فبراير 2008

في بعض الأحيان تمر الأيام ثقيلة وكأنها قطار بضائع محمل بالأحجار وأحيانا تمر كأنها قطار إكسبريس لا يتوقف . . . تلك هي الحياة . الحياة صعود وهبوط . . . كل يوم في شأن مختلف . . . والأحداث القادمة في روايتنا ستصبح سريعة ولكن بُناء على أحداث حصلت في الخفاء ويبدو أن رائحتها فاحت وأزكمت الأنوف . . . واختلطت الأحاديث السرية بالعلنية وتم الطهي في مطابخ الغيبة والنميمة

* * * * * *

دلف عمرو مسرعا إلي الصيدلية وعلى ملامحه أمارات سعادة لم يعتادها سالم...

سالم : خيرا؟ مالي أراك بوجه غير الوجه الذي اعتدت الظهور به!

أهذا قناع جديد؟

ضحك عمرو واستهل كلامه بدون مقدمات . . . وقال:

هل تعرف الصيدلية المشبوهة التي في شارع . .....

-بالطبع

-لقد حدث كمين من مباحث مكافحة المخدرات وتم إلقاء القبض على صاحبها ومعه الأحراز . . . لقد وجدوا كراتين كثيرة مليئة بالأقراص المخدرة المتنوعة وتم تشميع الصيدلية

-ممتاز . . . فقد كانت هذه الصيدلية في حوار سابق مع منير ...

-جيد أنك ذكرتني . . . احترس منه هذه الأيام . . فقد ضاق الخناق عليه وقريبا سيقع...

-وهند؟ أليس لديك معلومات عنها

-هند أصبحت صاروخا ينطلق من قاعدته ويحلق في الفضاء ويعود إلي قواعده مرة أخري..

ثم أردف عمرو ساخرا:

الصاروخ الوحيد الذي يعود . . . هاهاها

ضحك سالم وقال : هداها الله

******

منير كان منشغلا في غرفته السرية في إحكام الخطط . . وأمسك بالورقة الكبرى . . . وكتب اسم سالم ثم أمد خط متعرج ملتوي كأنه يعصره ليكون في آخره اسم هند

وبين قوسين (سالم ×هند) . . . . لقاء مباشر بشكل غير مباشر !!

وكالعادة ضحك ضحكته الشيطانية وعلي رقص لهب الشموع تناول أقراصه المخدرة . . . . ودخلت عليه هند . . . فلم تعد ميرفت تروق له....

لماذا لا يفكر في ثورة الشباب الذي لم يشارك في فضه وهو شاب ؟

هند كانت تقبل عليه بروح منال . . . تارة يراها منال وتارة يراها هند . . . لا يهم . . . المهم . . . أن يلتهم تلك العروس المقبلة في دلال ناحيته المهم أن تشتعل الغرفة بثورة بركانية...المهم . . . استعادة سبع سنوات حرمان من الجسد ، فقد شبع من الروح والروح ذهبت بلا عودة

أما الجسد فهو أمامه على صفيح ساخن

هاهي قادمة . . . منال أم هند؟

للمزيد من الكتب الحصرية ، زورونا على
موقع عصير الكتب
Www.Book-juice.com
وننتظر ارائكم عن رايكم فى الروايه
على جروب عصير الكتب
FB.Com/groups/Book.juice

-9-

هند سمعت كثيرا عن سالم ولكنها لم تقابله ولا مرة واحدة ، فكرت أن تضيفه إلي قائمة العشاق . . عشاق الليل هؤلاء العبثيون الذين تعرفت عليهم من التسكع بالنوادي . . . ظنوا أنها سهلة المنال . . . وفي نفس الوقت سعيدة بهذا التهافت عليها ...

ارتدت عباءتها السوداء الواسعة وعلى رأسها طرحة سوداء تلصصت منه بعض الشعيرات لتضيف جاذبية فوق الأصباغ التي صبغت بها ملامحها باحتراف . . . مع قليل من الإثارة من أحمر الشفاه وكحل العينين . . وبخطي أنثوية ملتوية دخلت الصيدلية تكهرب سالم وصعق لهذا الجمال الذي اقتحم خلوته . . كادت أن تبلعه بنظراتها وتفرست في ملامحه . . . فهو وسيم وأنيق الملبس ومن وقفته لديه ثقة بالنفس ولكنها لم تلاحظ تلك الدبلة الفضية التي زينت إصبعه في اليد اليمني ...

سألت عن "بودرة مائية "

احضر لها سالم طلبها . . وقبل أن يقول سعر هذا المستحضر باغتته : ألا تعرفني؟

ارتبك سالم وتلعثم وحاول أن يتذكر هذا الوجه ولكن كلمة (لا) غرقت في حيرته ولم يقو على إنقاذها

أنقذته هند من غرقه وقالت : أنا هند عبد العزيز

رفعا حاجبيه في دهشة وأحمر وجهه خجلا . . . هند أمامه التي طالما سأل عنها...

أهلا وسهلا . . . رحب بها سالم ثم أكمل :

عفوا . . إنها المرة الأولي التي أراكي فيها...

ابتسمت في إغراء وبعيون لامعه قالت : وأنا أيضا . . . إنها فرصه أن أشكرك على تعبك مع والدي . . مسكين . . . لقد دقت الصدمات فوق رأسه بدون رحمه جعلته طريح الفراش لفترة والحمد لله هو بخير الآن

لم تزد هند عن ذلك وتعمدت أن تلامس نعومة أناملها راحة يد سالم وكأنها تلقي بطُعم اختبار أملا في اصطياده فيما بعد ...

سحب سالم يده سريعا وسحبت هند نفسها من الصيدلية بدون أن تلقي بأي كلمة . . وكأنها تقول . . إلي اللقاء وليس وداعا...

اختالت هند بنفسها وهي سائرة وكأنها ملكة في الشارع متجهه إلي بيتها . . . وقالت في عقلها

ما هذا الاحتراف يا هند . . . سالم وقع في محارتها . . . إنه اللؤلؤ الذي سوف يتم اكتشافه

كانت في نشوة عالية . . . تفكر في الخطوة القادمة

بينما سالم يفكر في هند . . إنها حقا مثيرة للانتباه . . . فقد شغلته وأصبح في عقله حيزا لها

*****

مارس 2008

تجمعت السحب في السماء في قلق وتوتر وهمت عاصفة صفراء تلون المدينة . . إنه غضب الطبيعة والذي وافق غضب سالم وقام باتصال هاتفي مع مصطفي وطلب منه أن يقابله في عجالة والأمر لا يتحمل التأخير

تقابلا في النادي بعيدا عن أعين وآذان الناس . . مصطفي كان مرتبكا لهذه الدعوة المفاجئة إلا أن سالم أراد أن يضع النقط على الحروف لكي يفهم

مصطفي : ما الأمر د / سالم ؟

سالم : أعتذر لك عن هذه المقابلة المباغتة ولكن الأمر هام وخطير أنا دخلت بيتكم وكنت أمينا على أسراركم ومن هذا المنطلق أردت أن أكشف لك على عدة أوراق خاصة . . . . بهند

كانت اسم هند هو كلمة المرور ليفتح عقل وقلب ومصطفي

أكمل سالم:

أريدك أن تعلم جيدا أن منير يتاجر في الأدوية المخدرة وأنه مراقب من

مباحث مكافحة المخدرات . . . وأن هند مشتركة معه

ذعر مصطفي من خطورة هذا الكلام وكأنه ابتلع لسانه ولم ينطق

سالم : هند أتت إلي الصيدلية في زيارة عادية منذ شهر تقريبا ، إلا أنها.....

مصطفي بلهفة وصعوبة : ماذا؟

–تعمدت أن تتصل بي بعد منتصف الليل . . . وتجاوبت معها بحكم الفضول....

مصطفي : ماذا قالت؟

******

المكالمة الأولي

بصوت عذب رقيق خافت : د/ سالم

–نعم . . . من؟

–ألا زلت لا تعرفني؟

–عفوا!!

(ضحكت)

ـ عفوا! ما هذا الرقي! لم أعتاد على الطيران لفضاء الأدب سريعا . . ها ها ها

(صوت جاد)

– معذرة . . . إن الوقت بعد منتصف الليل . و....

–مشغول؟

–ليس هذا هو المبدأ . . إنما ليس لدي وقت لهذه الأحاديث الهاتفية و....

–أنا هند . . هند عبد العزيز

ـ. . . . . .

–د . سالم؟

–نعم . . أهلا وسهلا مدام هند

–مدام؟ . . . أنا هند فقط

(بتأفف) ـ وماذا تريدين ؟

(بجدية)ـ أرجو أن لا تتضايق مني . . أعلم أنك رجل محترم ومهذب وليس لك في ألاعيب المساء والسهرة ولكنني متعبة جدا في داخلي أسرار أريد أن أبوح بها ، وليس هناك عاقلا يسمعني . . بداخلي شرخ حقيقي يعذبني . . . لقد تمزقت . . . وهناك مشاهد مفقودة لا يعلمها أحد عنّي..

سالم ارتبك من الفضول الذي اعتراه ووجد نفسه في انسجام معها . . . وفي نفس الوقت يعرف الأسرار التي سوف تجيب على أسئلته

-وما هي؟

-لا . . لن أبوح بها الآن ليس هكذا من أول مكالمة ولكنني أريد أن أتغير فعلا، أنا كرهت هند الحالية . . . وكرهت هند الماضية . . و . . . (بكاء)

-لا أفهم شيئا

-أنا في حالة هذيان . . أشعر أن هند الحالية ليس أنا . . . وأمي تشاهد من بعيد وكأنني مسرحية هابطة عليها أن تشاهدها غصب عنها دون أي رد فعل

-ووالدك؟

-مسكين . . . الوحيد الذي أراه لا يستحق كل هذا العذاب . . لقد أصبح بركانا خامدا . . . تغلي الحمم من داخله دون أن يفصح عنها . . لذلك آثر السفر والرحال بين المدن حتى لا تصطدم عيوننا إنه يهرب . . كما هربت والدتي من قبل وكما هربت بعدها . . . يبدو أن الهرب في جيناتنا الوراثية؟

-جيناتك الوراثية؟! . . غريبة!

-أعلم أنه من الغريب أن أتكلم بلغة المثقفين...ولكنها كلمتان التقطهما من رفقاء السوء

-إذن ماذا تريدين؟

-سأحكي لك ولكن ليس على كل شئ

-اتفقنا

-كانت صدمتي الكبرى في سامح وقعت فوق سطح البيت ، فانفجرت فيّ وحطمتني ومزقنني إلي أشلاء متناثرة . . فقد كنت أعشقه . . ، هذا السطح الذي شهد ولادة براءة حبي هو نفسه كان المقبرة التي دفنت فيها قلبي ولكنني أدركت بعدها أنه حب من طرف واحد ومن المستحيل أن يكون هو الطرف الآخر . . . غبت عن الوعي ولم أفق إلا وأنا زوجة لوائل . . . كنت على علم أنه ذو شخصية ساذجة وسطحية و تصورت للحظات أنني سأتحكم فيه . . وهذا لم يحدث . . . وائل أثبت أنه ذو رأي وعنيد وشخصية ليست بالقوة التي تمتلكني . . . حدث مشاكل في بيت العائلة . . . وتم الطلاق . . . سأكتفي هذه الليلة بهذا التصريح . . . . سلام

******

مصطفي : هناك مشاهد مفقودة في تلك المكالمة لم تخبرك بها . . . . أكمل

****

<u>المكالمة الثانية</u>

-أعتذر منك . . . عفوا . . . كما قلت لي المرة السابقة

-أهلا هند

-لن أطيل عليك . . . تم الطلاق من وائل في هدوء وكان كريما وشهما وبالمقارنة بالوغد ممدوح . . . أقول لك إن وائل هو الإنسان الوحيد الذي ندمت على الطلاق منه

-ممدوح . . وغد؟

(بحدة) ـ بالطبع . . . كنت أريد استرداد كرامتي التي بُعثرت أمام الناس . . . والتي بعثرتها ألسن الناس التي لا تكف أبدا

-وتجملتِ بالتدين الزائف

(دفاع)ـ ارتديت النقاب هربا من أعين الناس . . كنت أتخفي خلفه . . ولا أعلم شيء في الدين . . فقد كانت وسيلة اختباء

-عفوا . . . كان ارتدائك للنقاب قبل الزواج من وائل . . أليس كذلك؟

-بلي

-مِن مَن ؟

-.....

-هل السؤال محرج؟

-لا . . . بل سيستعيد ذكريات سوداء . . . . فكنت في الحقيقة أختفي من نفسي . . . لقد كرهت شخصية هند المدللة . . الغير

مسئولة . . . السطحية . . سامح لديه حق . . . لم أكن جاذبة له؟

لا شئ غير جسدي . . وهو شاب ذو عقل وطموح . . وليس عابثا . . .

(سكوت)

فتزوجت ذاك المنبوذ . . مذموم وليس ممدوح

-ماذا حدث معه؟

-ممدوح كان مأجورا للزواج منّي . . . لقد كان مثل الحيوان في العلاقة الحميمة . . . كان يعتبرني مومس . . . وبنعتي بالعاهرة . . كان ذو طبيعة شاذة . . . فهو عبارة عن برميل من المخدرات والخمور . . . والمنشطات . . . ومع ذلك . . . كان ضعيفا . . . لذلك كان يضربني كثيرا لأنني رأيته.....

(سكوت)

-ماذا؟

-.....

-لا حرج

-كان يمارس العادة السرية

-أتعني أنه....

-أبدا . . . ألم أخبرك أنه كان شاذا . . . وطلبت الطلاق وأخبرت والداي بسلوكه الغير طبيعي . . . وتم الطلاق بهدوء

****

مصطفي : هنا أيضا مشاهد مفقودة . . . أكمل

****

المكالمة الثالثة

-تأخرت عليك ثلاثة أسابيع كاملة

-لا بأس

-أردت الانتقام من نفسي . . ومن أمي

-كيف؟

-منير

-زوج عمتك

-سابقا

-ماذا وراءه ؟

-لقد استغل ذهابي للنادي والتعرف على الكثير من الشباب . . . . وقام بتجنيدي لأكون وسيط بينه وبينهم

-لماذا؟

-لأشتري وأبيع لهم الأقراص المخدرة

-. . . . . .

-تعرفت على شياطين الإنس وتتبعت خطواتهم

-وكيف وافقتِ؟

-ليس هذا هو المهم . . الأهم أنه كلفني أن أشتري منك حصتك في جدول المخدرات . . وهو من أرسلني إليك . . . لكي . . . أغويك بأنوثتي . . . ولكنني رفضت داخليا ..

(صمت ثقيل)

-لماذا قبلتي من الأساس . . إنه ماكر وذو دهاء وكيف لن تخبري عمك على الأقل؟

-. . . . . .

ـ هند . . . ما علاقتك بمنير ؟

لماذا جندكِ؟

لماذا وافقتِ؟

(صمت)

-ليس هناك وقت

-. . . . . .

-أرجوكي

-لأنه . . . زوجي . . . لقد تزوجنا عرفيا

-10 –

المشاهد المفقودة

قفزت العَبرات من عيون مصطفي لتخفف عنه ما سمعه منذ قليل عن هند ، كانت الدموع رحمة سُكبت على قلبه فهدأت من روعه واستعاد توازنه وبدأ يقص على سالم المشاهد المفقودة لتكتمل الرواية لكليهما

المشهد الأول

قال مصطفي :

كانت ليلة حالكة السواد عندما نزل ابني سامح من سطح البيت وكان مرتبكا ولأنه لا يخفي عني شئ فقد حكي الحوار الذي تم بينه وبين هند . . . دعوت له بكمال العقل وبالثبات على أخلاقه ومبادئه ، علمت بعد ذلك أن منير صعد إلي السطح ووجد هند في حالة يرثي لها . . كانت غائبة عن الدنيا . . . أخذها إلي البيت . . استسلمت له باعتباره زوج عمتها . . . ولكن فعل فعلته الدنيئة بعد أن سقي هند شئ ما جعلتها في غياهب العالم الآخر...

أختي ـ رحمها الله ـ عادت إلي المنزل في ذلك الوقت لتجد ابنة أخيها . . عارية . . غائبة عن الوعي . . . كان الثور الهائج قد أفقدها عذريتها مخلفا وراءه بقعه دماء كدليل إدانة

انهارت أختي وخارت قواها ولم تدري بنفسها إلا وبأظافرها تمزق ظهر

ذلك الوغد . . . ويبدو أن هو الآخر لم يكن في وعيه لأنها أخبرتني بفراره هاربا بعد ما رآها .

صعقت هند من منظرها ودموع كانت كالبحيرات . . وتذكرت آخر مشهد لها في السطح مع سامح وأنها سمعت أقداما صاعدة فظنت انه هو . . . جاء ليعتذر ، وهمت أن ترتمي بأحضانه ولكن مع الظلام ، يتساوي الأعمى بالمبصر . . ثم عادت لتسأل ما الذي أتي بي إلي هنا؟ حدث لها فقدان ذاكرة مؤقت . . وكأن عقلها اللاواعي رفض الاعتراف بهذه الجريمة التي ارتكبت في حقها ...

عرفت كل ذلك من أختي قبل وفاتها . . لم تتحمل المسكينة كل هذا الغدر والخيانة . . وأخبرتني كيف كان يعاملها ويسبها وينهرها بل ويخونها في خياله مع(ميرفت) ، البائسة لم تطلب الطلاق بسبب عمرها الكبير . . وآثرت أن تعيش زوجة مع إيقاف التنفيذ على أن تحمل لقب مطلقة بعد أن عانت من لقب عانس..

ماتت إثر أزمة قلبية . . . قلبها المحطم . . تدهور عاطفيا ومعنويا .... كان سالم يستمع وهو غير مصدق . . . رحل إلي عالم آخر . . عالم الشيطان الخفي . . . عالم به الكثير من شخصية منير

****

المشهد الثاني

تزوجت هند من وائل وكنت الوحيد الذي يعلم بالمصيبة . . وكما قالت لك . . . وائل كان أصيلا وشهما ولم يفضحها . . . وألقي بكل انهياره النفسي والعصبي على عبد العزيز وميرفت . . . وأنت تعلم الباقي

****

المشهد الثالث

الذي دفع بممدوح هو منير فقد قابلته وحكي لي كل شئ بعد حدوث الطلاق . . . وكانت ضربة مزدوجة . . . منها أن لا يشعر بالذنب ولا الإثم أنه السبب في طلاقها في المرة الأولي ومنها يكون هناك مساحة للتقرب من ميرفت والتودد لها . . . ولكن هذا لم يحدث...

فأمر ممدوح بأن يطلقها لأنه عالم بشذوذه النفسي ويكون هذا السبب أمام والديها . . . . وفي نفس الوقت . . تصبح هند هي بديل ميرفت . . . بعد فشل كل المحاولات . . . وهاهو قد نال مراده...

اكتملت المشاهد أمام سالم وفهم سر تجنيده لهند . . . وأنها وسيلة غير معروفة لجلب الأدوية المخدرة وبزواجه منها تصبح تحت طوعه وأمره . . وليس بعيدا أنه يستخدمها في أماكن أخري . . . فهذا الشيطان لا ييأس من الطرق على كل أبواب الشر

****

وكيف نتخلص منه ؟

كان هذا سؤال سالم لصديقه المحامي عمرو . . . وقد علم منه كل شئ. . إلا أن عمرو قال:

الأمر سهل . . . بلاغ لمكافحة المخدرات أن منير بحوزته أدوية مخدرة وممنوعة ومروج للمخدرات بين الشباب . . . وأنهم من الأصل تحت المراقبة . . . وسيتم القبض عليه

-وهند؟

-لا أعلم سوي الطلاق منه بأسرع وقت وإلا سيجعلها مذنبه معه وشريكته في جريمته وتُسجن هي الأخرى . . . ألا تزال تتصل بك؟

-لا . . . إنها كانت في حاجة إلي من يسمعها ويصدقها فقد فقدت لثقة بكل من حولها . . . إنها تريد أن تُولد من جديد من رحم خام بشخصية جديدة . . . ولكن هذا اللعين أجهضها قبل الأوان

******

كان اللقاء وديا بين هند ومنير ، استجمعت هند شجاعتها وقالت في تحد : منير . . أنا حامل

منير بلامبالاة : كاذبة

-أنا لا أكذب . . . الدورة الشهرية توقف منذ فترة . . . و...

اكفهر وجه منير وتلون باللون الأسود وانطلقت من عيناه وميض الشر

وقام من مكانه وأمسك بذراعها وجذبها بعنف قائلا :

قلت لكي إنك كاذبة . . لا تحاولي العبث معي . . أنا لست مراهقا ساذجا مثلك . . مجرد أن تقولي أنك حامل . . سأخر راكعا على ركبتي وأتوسل إليكِ . . وأتزوجك بشكل رسمي . . . إن لك وقت معي وبعدها سألقي بكِ على الأرض وأدوس عليك مثل فلتر لفافة التبغ . . . أفهمتِ؟

ذابت هند في نفسها وتلاشت ملامحها وأصبحت بلا عنوان فقد كانت كاذبة بالفعل . . . خافت أن تتورط معه في تجارته للأدوية المخدرة . . افتعلت تلك التمثيلية لعله يستجيب ويطلقها . . . . لم يكن بيديها حلول أخري غير الصبر للخروج من تلك الورطة

لماذا تورطت؟

أخرجها من صمتها وقال :

كما أخبرتك من قبل . . أريد الحصة الشهرية للأدوية المخدرة من سالم وغيره وبعد ثلاثة أشهر سأطلق حريتك ....

تغيرت ملامحه فجأة إلي اللين والنعومة في الكلام . . مشيرا إليها أنه مفتقدها . . . واقترب منها ليعانقها ويقبلها . . . . ولكنها منعته فهناك حاجز نفسي بينه وبينها . . . وخرجت مسرعة تاركة قنبلة غاضبة تود لو أنها تنفجر فيه وتتخلص منه

تركها . . . وعاد لأقراص الهلوسة . . . وانتظر . . منال

****

كانت الليلة ليست مثل أي ليلة أخري . . . فقد تعكر جو سالم كثيرا بعد كم الأحداث التي حدثت له . . . وبدون وعي قال:

هناك قوي خفية تتحكم فينا عن بُعد، قوي شيطانية، أصبحنا كعرائس خشبية يتحكمون بنا من خلال حبال خفية يسيطرون بها على أعصابنا وعقولنا

سهام : ماذا بك الليلة ؟

سالم : لا أدري . . إن مزاجي غير صافي منذ فترة وكنت أظن أن الجهل والفقر والمرض من أسباب التخلف ولكن لم أعلم أن هناك أمراً أخر هو المتحكم في هذه الثلاثية . . . إنه الوعي...

إن اللاوعي الذي نعيش به هو السبب في إطلاق سراح تلك الآفات . . . إننا لن نتغير إلا بالوعي . . . تلك هي قلب الحقيقة...

مازالت سهام شاردة معه لا تفهم ماذا حل بخطيبها . . . . ولكنها فضلت أن يبوح ما بداخله لعل هذا يخفف عنه

فسألت : وما هي قلب الحقيقة؟

أخرج سالم من جيبه ورقة مطوية وأعطاها لسهام لتقرأ بصوت عال :

إن البشرية الطبيعية دائما في محاولة هرب من الحقيقة ، إنهم يسيرون

بجوارها أو يتقدمونها أو خلفها . . . المهم إنهم لا يواجهونها ولا يتجاهلونها وللحقيقة عدة زوايا والجميع يحاولون اختراقها ومع العمق . . يتقابلون . . . يتحاورون . . يحللون . . . . يفهمون . . . بلا عراك ولا شجار ولا خلاف . . المهم أن نصل لقلب الحقيقة والأهم . . نعيشها ونصدقها . . . فلم يعد معرفة ظاهر الحقيقة يكفي في هذا العصر المملئ بالمتغيرات

كادت سهام تصفق بكفيها الرقيقتين . . وقالت وعلامات الإعجاب تكحلت بها عينيها : خاطرة قوية

سالم : وحقيقة . . . . كتبتها بعد معرفتي الكاملة بقصة هند . .

حكي لها قصة هند كاملة بدون الإشارة إلي أن كان هناك أي اتصالات هاتفيه خوفا على مشاعر خطيبته وحتى لا تدب الغيرة في قلبها وتحدث مشاكل هو في غني عنها وخاصة أن لم يتبق الكثير علي زواجهما

صدمت سهام من الذي سمعته . . . وما انتهي سالم قالت :

منير هذا شيطان خفي

–هذا ما قلته في البداية . . منير مثال حي للخراب والتدمير ولكن بأيدينا . . هو يفكر ويخطط ونحن ننفذ . . بدون وعي . . . انه نموذجا لكل فاسد يعيش على سذاجتنا وعدم وعينا . . . . الجميع غارقون في بحور اللاوعي . . . . . أين المفر . . . لا أعلم؟

****

كان منير جالسا في المنزل استعدادا لقدوم هند . . شرب كأسا من الخمر المعتق وتناول عدد قليل من الأقراص المهدئة . . فهو يريد الاسترخاء التام...

لفت انتباهه أصوات كثيرة صاعدة على السلم . . ظن أنها من الهلوسة التي غرق فيها . . . ارتجف قلبه من شدة الطرق على الباب وكأنه يطرق فوق رأسه . . وقفزت دقات قلبه خارج جسده عندما سمع صوت جهوري أجش يصيح : افتح يا منير

لم يدرك منير أنه قد تبلل جلبابه فلقد تبول بشكل لا إرادي . . .

إنها الشرطة...

لم يقم من مكانه . . . فقد أصيب بالشلل . . . وفُتح الباب بالقوة...

ظن منير أن فرقة كاملة من الشرطة اقتحمت منزله . . . شحب وجهه كالأموات . . . ابتلع لسانه . . . أحس باختناق . . أمسك برقبته . . ذهب سريعا وفتح باب الشرفة . . . كان يعتقد أنها هلاوس ومع الهواء النقي سيفيق من هذا الكابوس

ولكن أفاق علي الحقيقة عندما سمع من يقول :

لا تحاول الهرب .

الهرب؟

إن حياته كلها محاولات هروب

هرب من أصل ديانته

وهرب من منال

هرب من واقعه

هرب من ميرفت وهند .

لقد هرب من نفسه...

نظر إلي السماء وتشاءم . . فقد كانت ليلة بلا قمر . . . أحس بثقل رأسه . . . وهوي إلي الأرض . . . صريعا....

مات منير . . . . وهو في حالة هرب من الشرطة!!

****

كانت الخطط المدمرة التي يدبرها منير تحتاج إلي شهور وسنوات لينفذها أما خبر موته انتشر كالنار في الهشيم بين الناس، وكالعادة تعددت السيناريوهات المختلفة والكل أخرج القصة تبعا لهواه الشخصي

الذي كان معتليا قمة السعادة هو مصطفي . . فقام بتطهير الشقة وجمع أغراض منير كلها . . . وحرقها . . وأعاد طلاءها من جديد...

ذهب بروحه الجديدة إلي سالم . . الذي كان له فضل ودور كبير في قضية هند..

ما إن رآه حتى قام سالم من مكانه وعانقه بترحاب شديد . . . وكأنه يقوم بتهنئته من الشفاء من مرض السرطان الذي كان منتشر في خلايا العائلة

سأل سالم عن هند . . قال مصطفي والفرحة ترقص في عينيه

–قبل أن تعرف أي شيء عن هند . . كنت أود أن أعرفك أنني ذهبت لهذا الملعون قبل وفاته بيوم واحد، وهددت بفضحه وأخذت منه نسختين الزواج العرفي وقام بطلاق هند ، وأمهلته يومين لينقل أغراضه إلي مكان آخر وبعد أن ضمنت سلامة هند، أخذتها وقمت بعمل محضر في قسم الشرطة وأبلغنا أنه يتاجر في المخدرات وهند كانت دليل إثبات وقصّت كل التفاصيل وحدث ما حدث ولو أنني كنت أود أن يغادر البيت إلي السجن ولكن غادر الحياة كلها . . وهو الآن في ذمة الله

–ألم يعرف أحد بزواجهما؟

–لا . . . لم نخبر أي أحد . . . لقد دفنا هذه الجريمة مع المجرم

–ألم تسأل هند لماذا تزوجته؟

–ليس لدينا أدني تفسير . . . هي ذاتها تصرفت بلاوعي . . . المهم أن الأمر انتهي

نظر سالم إلي مصطفي بعين الرضا وأمسك بقلمه وكتب

الوعي هو الحل

****

استسلما سالم وسهام أمام البحر أثناء جلوسهم في إحدى شواطئ الإسكندرية ، لقضاء شهر العسل

تأمل سالم البحر وقال وهو يتنهد :

كم أشتاق إليك أيها النيل العظيم

ابتسمت سهام وداعبته برقتها وقالت :

غريبة يا حبيبي . . . ألا تحب البحر ؟

–البحر له بعض صفات البشر المضطرب . . فهو متقلب المزاج ، عصبي ، مندفع وأحيانا متهم بالغدر ولو أن قابله صخرة يظل يبطش بها بأمواجه الهائجة أما نهر النيل مثل الإنسان صاحب الحكمة ، هادئ ، متزن ، مطيع وإذا وجد صخرة تقابله في الطريق فإنه يدور حولها بكل سلاسة ومرونة ليسير إلي هدفه ، بلا عناد ولا تحطيم ...

أليس من العجيب أن الإنسان له صفات البحر والنهر ! !

كانت الرمال تحمل العديد من آثار أقدام العديد من الناس ، الكل يستمتع بطريقته الخاصة لا يوجد مبدأ عام للسعادة ، فالسعادة طابع

خاص لكل إنسان كالبصمة كل له طريقة مميزة للحصول عليها وليصل لدرجة الكمال كما يريد

التفتا العروسان لأصوات ضاحكة عالية لفتيات في ريعان شبابهن

وتذكرت سهام قصة هند وسألت سالم إن كان يعلم عنها شيء فقال :

علمت أنها تخضع لعلاج نفسي لإعادة تأهيلها نفسيا ...

-تغيرت بعد الصدمة

-نظريتك صحيحة . . . فالصدمة إما أن تغير للأفضل أو للأسوأ على حسب رد فعل المصدوم ، وثبت أن الأمر نسبي وليس مطلقا . . . فالمجتمع يحكمه قيود من عادات وتقاليد ومذاهب ومفاهيم خاصة بالحياة...

-أراك قد تغيرت قليلا ولم تعد تختنق من أفعال البشر

-ليس صحيحا . . . أنا لست ضد الطبيعة البشرية ولكن من الممكن أن نتغير للأفضل بالوعي

كانت الشمس تودع يومها وتستأذن الجميع بأن تنصرف لأن مازال لديها حزم من أشعة الأمل وسوف تنشر خيوطها الذهبية في أماكن أخري

قاما سالم وسهام متشابكين الأصابع تتأبط ذراعه في أمان وقالت :

إذن التغيير للأفضل من الوارد حدوثه

–بل الأصح . . . سنري أنفسنا نتغير . . . فهل للأفضل أم للأسوأ هذا ما سنراه عندنا نجلس في مقاعد المتفرجين ونري بعضنا البعض بوضوح تام

كانا يسيران على غير هدي ولا دليل . . إنهم يغرقان في الازدحام بلا تأفف....

وفجأة أشار سالم إلي جهة ما وقال : انظري

رأت سهام زهورا رقيقة تلعب في الحديقة بكل براءة وسعادة..

تمتمت في سعادة : الجيل الجديد

سالم:

عزل الجيل الجديد عن الجيل القديم قد يحل المشاكل مستقبلا . . . حتى لا يورث السلبية واللامبالاة وكل الأخطاء التي اقترفها الكبار . . . الجيل الجديد ينشأ ويتربي على أفكاره هو الذي تناسب زمانه ومكانه ....

سهام : أتريد أن تنشأ فجوة بين الأجيال؟

سالم : العزل يكون بجدار وهمي فاصل بينهما طالما سيتغيرون للأفضل . . العقلاء من الجيل القديم يلقحون الجيل الجديد بلقاح الأخلاق والمبادئ والقيم ثم يتركونهم وتواجه مناعتهم الطبيعية والمكتسبة مشاكل الحياة بطريقتهم...

سهام : خيال واسع

سالم : وأنتِ جزء من خيالي . . . أحبك

توردت وجنتي سهام في خجل . . . وتعلقت بذراعه وذابا في المدينة الصاخبة...

المدينة التي لا تهدأ

وبالرغم من أضواء المدينة المثيرة

إلا أن القمر كان بدرا له ضياءه ورومانسيته ....

كانت ليلة مقمرة في حياة العروسين

للمزيد من الكتب الحصرية ، زورونا على
موقع عصير الكتب
Www.Book-juice.com
وننتظر ارائكم عن رايكم فى الروايه
على جروب عصير الكتب
FB.Com/groups/Book.juice

نبذه عن الكاتب

- تامر محمد عزت
- كاتب مصري

من مواليد فبراير 1979

دكتور صيدلي

خريج كلية الصيدلة جامعة طنطا 2001

أعماله الأدبية :

- **فريدة وقصص أخري** . . . نشر الكتروني (عصير الكتب)2014
- **رواية الحائر** . . . . دار ذات للنشر والتوزيع 2015
- **نبضات فكرية** . . . . . مقالات وخواطر . . . نشر الكتروني 2014
- حاصل على المركز الثاني في مسابقة القصص القصيرة التي أعدها جروب عصارة الأفكار عن القصة : **الجندي والقائد** ونشرت مع مجموعة قصص أخري لفائزين آخرين بعنوان " **قصاقيص** " عن دار قلمي للنشر والتوزيع
- **هلال لم يكتمل** . . رواية قصيرة . . (عصير الكتب للنشر الإلكتروني)